

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفقنا معاصر المأثريدية لتدقيق العقائد الإسلامية،
وكرمنا مفاخر الحنفية لتدقيق المباحث الكلامية، والصلاة والسلام على
رسولنا محمد، المؤيد بالبراهين الإلهية، وعلى آله، وأصحابه المتّصّفين
بالكمالات.

أمّا بعد: فإن هذا الكتاب كنزٌ من كنوز الإسلام لمؤلف مفتي
الثقلين أبي حفصٍ عمر بن محمد بن أحمد النسفي، رحمه الله. هذا
الكتاب منذ تأليفه إلى يومنا هذا كان نموذجًا لصحة الاعتقاد، فإنني
أضعف عباد الله، أريد أن أكون ناقلًا وخادمًا لهذا الكتاب.

أنا العبد الفقير إلى الله مَقْصِدٌ أُوَيْزُوفُ الْمَرْوَزِيُّ، أخذتُ هذا
المتن بإجازة وحفظته على سندٍ متصلٍ إلى صاحب المتن نجم الدين
النسفي، رحمه الله عن الأستاذ أحمد أبي يحيى الحنفي القازاني حفظه الله
تعالى عن المفتي أبي علي عبد الرشيد بن أسيلدار الأشعري الحنفي
الداغستاني حفظه الله تعالى عن شيخه المفتي حسين كدوديا عن الشيخ
محمد مرشد عابدين الحنفي رحمه الله عن العلامة أبي الخير عابدين عن

الشيخ أحمد عبد الغني عن الإمام العلامة محمد أمين بن عابدين الحنفي
 عن شيخه محمد شاكر العقّاد عن الشيخ محمد التافلاقي عن شيخه
 الشمس محمد بن سالم الحنفي عن شيخه محمد البُدَيْرِي عن البرهان
 إبراهيم الكوراني عن العارف صفّي الدين أحمد بن محمد المدّني عن
 الشمس محمد الرملي عن القاضي زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر
 العسقلاني عن الصّاح بن أبي عمر عن الفخّر بن البُخاري عن أبي
 المُظفّر عبد الرحيم بن عبد الكريم السّمّعاني عن والده عبد الكريم عن
 أبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي رحمه الله. الذي أخذ العلوم
 الشرعية عن كثير من المشايخ، منهم عن أبي اليُسْر البَزْدَوِي عن جدّه عبد
 الكريم البزدوي عن أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي
 السمرقندي رحمه الله، الذي أخذ العلوم الشرعية عن كثير من المشايخ،
 منهم عن أبي بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني عن أبي سليمان موسى بن
 سليمان الجوزجاني عن أبي يوسف ومحمد عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت
 بن زوطى بن مرزبان الكوفي رضي الله عنهم. النعمان بن ثابت أخذ
 العلوم الشرعية بالسلسلة الذهبية عن حمّاد بن أبي سليمان عن إبراهيم
 النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد وجدتُ هذا المذهب العقدي منقولاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا تحريف لأنّ كتب العلماء من هذه السلسلة محفوظة، والمباحث العلمية حول المخطوطات أظهرت صحة نسبتها إليهم، منها مثلاً: كتاب "الفقه الأكبر" عن حمّاد، و"كتاب الوصية" من مصنّفات أبي حنيفة رحمه الله، و"بيان عقيدة أهل السنة والجماعة" للطحاوي، و"كتاب التوحيد" للماتريدي، و تفسيره "تأويلات أهل السنة" وغيرهم. وكلنا نستطيع أن نقرأها الآن، وواحد من هذه الكتب بين أيديكم، هذا الكتاب مسمى: بـ"أصول الدين على اعتقاد المهتدين" الذي هو الباب الأول من موسوعة تُسمّى: بـ"مطلع النجوم ومجمع العلوم"، التي ألّفها نجم الدين النسفي، رحمه الله. هذا الكتاب كان واحداً من الكتب التي أجمعت عليها الأمة الإسلامية، وهذا الكتاب مشهور باسم "العقائد النسفية".

ومحتمل أنّ هذا الكتاب كان أكثر قراءةً في عصر علماء الخلف في العالم الإسلامي من الهند إلى المغرب، ومن مكة إلى قازان. وكُتبت شروح أو تعليقات على هذا الكتاب بعدد أكثر من ثمانين كتاباً. بلا

شك هذا يظهر صحة الاعتقاد في هذا الكتاب ورضاء الله به، كما أشار حديث شريف إلى ذلك: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ"^(١).

نصّ الكتاب مأخوذاً من مخطوط تحت رقم: ١٤٦٢ من مكتبة معهد أبي ريجان البيروني للدراسات الشرقية. في يوم ١٣ من شعبان ١٤٤٠ هـ الموافق ١٨ أبريل ٢٠١٩ م أثناء أحد اللقاءات طلبتُ صوراً لأقدم مخطوطات "العقائد النسفية" من مستشار سفارة جمهورية أوزبكستان السيد دَنِيَارَ عَابِدُوفَ، رحمه الله. بعد عدة مكالمات أرسل السيد دنيار إلى أوزبكستان رسالة رسمية لطلب صور للمخطوط، وبعد شهرين تقريباً أرسل إليّ من أوزبكستان السيد عبد اللطيف الالاقُولُوفُ صوراً من هذا المخطوط، وأسأل الله أن يتقبل منهم، ويجزيهم خير الجزاء.

هذا المخطوط كان مكتوباً على يد كاتبين في مدينة سمرقند، أحدهما محمد بن حامد بن علي، الملقّب شرف الحامدي البخاري، وبدأ

(١) الترمذي، رقم الحديث ٢١٦٧ و ابن ماجه، رقمه ٣٩٥٠ و احمد في المسند ج ٥ ص ١٤٥ و الدارمي في سننه ج ١ ص ٢٩ و أبو داود ج ٤ ص ٤٥٢ و السيوطي في الجامع الصغير رقمه ١٨١٨، حديث حسن.

كتابة هذا المخطوط في سنة ٧٦٤ هـ، وفرغ من باب الكتاب "مشارع الشرائع" في سنة ٧٦٥ هـ.

والكاتب الثاني محمد بن محمد بن حسين الأسميني، الملقّب نجم الدين الكومر، وانتهت كتابة هذه النسخة في عام ٧٦٦ هـ. وكلاهما نسخا هذا المخطوط من نسخة كُتبت بإملاء الشيخ نجم الدين النسفي، رحمه الله، كما ورد في المخطوط.

كتب الكاتب الثاني: "تم كتاب الخطب بعد عناء وتعب، رزق الإله لمن طلب العلم والأدب، على يد أضعف عباد الله وأفقرهم محمد بن محمد بن حسين الأسميني، وقت الظهيرة يوم الخميس الحادي والعشرين، من شهر الله المبارك رجب، سنة خمس وستين وسبعمائة، من نسخة التي كتبت [من] تلك النسخة من إملاء الشيخ الأجل، الأستاذ نجم الملة والدين رضي الله عنه، يوم الخميس بين الرواح في السابع والعشرين، في بلده سمرقند، حرسها الله تعالى عن الآفات، في مسجد مولانا الأجل الأستاذ، وهو مسجد سكة اللباد، من سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة"^(٢).

(٢) أنظر لوحة ٢٢٧ من النسخة

ظهر الآن أنّ هذا الكتاب فرصة نادرة لقراءة النص المكتوب بإملاء صاحب المتن الشيخ الأجلّ نجم الملة والدين، أبا حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، رحمه الله، وهذا الكتاب واحدٌ من كتب سلسلة العلماء الحنفية في العقيدة المحفوظة من التحريف، كما أصبح واضحًا الآن.



صورة لـ "مسجد عمر" أو "مسجد كَبُود" بالفارسية، وهو مسجد الذي أملى فيه الشيخ النسفي، رحمه الله، هذا المتن المبارك الذي بين أيديكم^(٣).

^٣ أنظر: "سمریه در بیان اوصاف طبیعی ومزارات سمرقند" لأبي طاهر خواجه سمرقندي، بالفارسية. ذكر المؤلف أن بناه النسفي.

كذلك يجب أن نلاحظ أهمية هذا المتن أنه كان مقبولاً عند المسلمين منذ وقت تأليفه بأمر السلطان معز الدين أبي الحارث أحمد سنجر بن ملكشاه السلجوقي التركماني، رحمه الله، كما ذكر في مخطوط مكتوب بخط خواجه محمد بارسا، رحمه الله، باللغة الفارسية: "وَسَبَبِ اَيْن جَمْعِ اَن بُوَد كِه دَر عَهْدِي كِه سُلْطَانِ اَعْظَمِ سَنجَرِ اَبْنِ مَلِكْشَاهِ رَحْمَهِ اللّهِ"^(٤)، يعني: لما فتح سمرقند أمر سنجر أن يكتب علماء سمرقند كتاباً في اعتقاد أهل السنة والجماعة، يكون نموذجاً لصحة عقيدة السنية في عصره. وكتب أبو حفص هذا الكتاب باللغة الفارسية المسماة: "بيان اعتقاد أهل سنت و جماعت". ثم كتبه بالعربية وسمّاه به "أصول الدين على إعتقاد المهتدين". وأجمع علماء سمرقند على صحة هذه العقيدة، ووضعوا في نهاية كتاب أبي حفص الخواتم الشخصية، كما ذكر في المخطوط "بيان اعتقاد أهل سنت و جماعت" تحت رقم: ١١-١٣٦١٣ في مكتبة مجلس شورى الإسلامي بـإيران. لقد رأينا المكانة العالية لهذا الكتاب في الفكر الإسلامي وتراثه، ولذلك أردت أن أكتب تعليقات على هذا المتن

(٤) ذكر في المخطوط "بيان اعتقاد أهل سنت و جماعت" تحت رقم: ١١-١٣٦١٣ وروي هذا النص عن الشيخ علي بن أبي بكر الرشداني المعروف بالمرغناني، تلميذ عمر النسفي، وتمت كتابة النسخة في عام ٧٩٥هـ

استدللاً بالنقل والعقل، ليكونَ هذا شرحاً صغيراً لعقيدة أهل السنة والجماعة، مؤيداً بالنصوص القطعية وبالبراهين العقلية وفقاً لقواعد مذهب الماتريديّ، وليكونَ ذلك تليغاً للأدلة النقلية والعقلية وللحصولِ على الإيمان الاستدلاليّ وخروجاً عن الإيمان التقليديّ. والله وحيد مَنْ أَنْزَلَ الكتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، فأسأله أن يغفرَ لي أخطائي، وباللّٰه التوفيق.

35
 32
 33
 34
 35
 36
 37
 38
 39
 40
 41
 42
 43
 44
 45
 46
 47
 48
 49
 50
 51
 52
 53
 54
 55
 56
 57
 58
 59
 60
 61
 62
 63
 64
 65
 66
 67
 68
 69
 70
 71
 72
 73
 74
 75
 76
 77
 78
 79
 80
 81
 82
 83
 84
 85
 86
 87
 88
 89
 90
 91
 92
 93
 94
 95
 96
 97
 98
 99
 100

ما قال ذوالبيان ابو عبد الله الجسين بن ابراهيم النطري رحمة الله عليه
 قالوا حضرت واهل الدار ما احصوا جمع العلوم وهذا الراي مستحوط فملت جمعي اهل العلم محض
 وجمع غيري لاهل الفهم مبسوط فقدم الحفظ ثم الفهم بجزء فاست حينئذ لا تسلك مغبوط

أصول الدين على عقول المهتدين

قال اهل الخوارج في الاسباب ثمانية والعلم بها متفقو حقا للشوق فسطا بنية ثم اساس العلم المعلو ثلاثة
 الخواس الخمس وحر الصلوة والعقل والخواس في السمع والبصر والشم والذوق واللمس وبها حياة
 منها توقف على ما وضعت في بحر الصلوة على نوعين احدهما الخبر المتواتر الثالث على السنة قوم لا يتولد
 توأهم على الكلب وهو موجب للعلم الضروري كالعلم بالملوك الخاليد في الاغنية الماضية والبلد التي تسمى
 والفاخر خمر الرسول المؤثر بالبحر ووح العلم الاستدلال والعلم بالذاتية بضع العلم بالذات بالضرورة
 في التيق والثابت واما العقل فهو العلم ايضا وبها ثبت منه بالذاتية فهو ضروري ان كل من اعلم حزن
 وما ثبت الاستقلال هو النساء والاقسام ليس في اسباب معرفة الله عندهل الحرف والعلم
 بجميع احكامه ثبت اذ هو اعراض والاعيان ماله تمام بذاته وهو امر كنه وهو الحرف الذي لا يحرك
 وهو الجوهر والاعراض بالاقسام بذاته ويجرد في الاجسام والجواهر كالا لوله والا اوله والظهور والذات
 والجبريد العالم هو الله تعالى الواحد القديم المحي العاقل السميع البصير الشافي المويد ليس له وجود
 ولا جسم ولا حضور ولا محدود ولا معدود ولا مبعض ولا متجزى ولا متركب ولا منتهي لا توصف بالماثية

صور من المخطوط - ورق ٢ ب

واعلم ان كان عمل الخبز نفعه على حال العبد حينئذ فليس ادراكه ان كان نفعه بما نصار
من حوزة من الكفر وليس حوزة من عمل العباد والمعدنار وهي جمع الامام والخبز

فانما نصار من الخبز والكفر
و يوصى ان العباد الى الامام والامام
كان العبد الى الامام والامام والامام
ما يصدره ان كان له ما
انفردت له بها الامم والامم
منه فكل الامم والامم
هات وكان على الخبز
عنان عليه ما جازم

ولا بالكيفية ولا يمكن ان كان ولا يخفى عليه زمان ولا يشبهه في ولا يخرج عن علمه وقدرته في وقد شقان لدرجة
فانته بذاته وفي الاصول والغيره وفي العلم والقدرة والحيوة والقوه والسمع والبصر والادراكه والمسته والفعل
والخلق والارتقاء والكلام وهو منكم نكلام هو صفة لزمه ليس من جنس الحروف والاصوات وهي منافية
السلوك والآفة والله تعالى ينكلم بها امرنا في غير القرآن كلام الله تعالى عن مخلوق وهو مخلوق في
مصلحتنا محفوظ بقولنا صغروا بالنسبة اسموعه باذنا عن جلال فيها والكلوب صفة لله تعالى لزمته وهو
يكوس للعالم ولكل جرم منه لوفوف وجوده وهو غير المكون عنديا والا لا حده صفة لله تعالى لزمته فانه بذاته
ورويته الله تعالى جازية في العقل واجبة بالثقل في الدليل السبع باعاب روية المؤمنان الله تعالى في الداد
الآخرة فيرى لا كان ولا على حيزه متفابله اذا تضاع شعاع اشوت مسافة من الزاكي وبتزغلي والله تعالى
خالق كل افعال العبد والكفر والامان والطاعة والعصيان وفي كلها عسسته ولرادته وحكمه وقضيه
والجبر افعال اختارها بنا نوز بها وباقوم عليها والخس منها بوضا الله تعالى والفتح منها ليس بوضا
والاستطاع عنع الفعل وهي حصة المقدره التي يكونها الفعل ويقع هذا الاسم على سلامان سياتي الا
والخروج وصحة التكليف بعد هذه الاستطاعه ولا تكلف العبد ما ليس في وسعه وما يوطر الامم في المصير
عقبه صحت انسان والا لا يسار في الزخا عصفه كسر انسان وما يشبهه كل ذلك مخلوق لله تعالى لضعه القدر
والمقنول مستباحه والاصل والاطم والخبز رزق وكل تستوي رزق بنفسه طال الاكل او جازما
ولا يتصور ان لا ياكل انسان رزقه او ان ياكل غيره رزقه والله يضل من يشاء ويهز من يشاء وما هو الا
للعبد فليس ذلك بواجب على الله تعالى وعذاب القبر للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين وتعم اهل
الطاعة في القبر وسؤال منكر ونكير تاس باللائل السعيه والبعض حق والجنه حق والورع حق
والكتاب حق والسؤال حق والجحش حق والمراط حق والمارح والجنه حق وما مخلوقا وروح
باقيته لا تعيان ولا يقضي اهلها والكتب من الاخرى العبد المومر من الامان ولا تزده في الكفر
والله لا يخسر الشرك وبعض ما دور ذلك لم يشا من الكتاب والضعاف وتكون العمان على الضعيف
والعفوع الكبر اذ لم يكره استعجاله والاسئلة كسر والسفاعة تاسم للموسل والاشجار
في حق اهل الكتاب والمسفسفم الاخيار واهل الكتاب والمؤمنان لا يتخلدون في النار والامان
هو التصديق بما حرم عند الله تعالى والاقوله فاما الاعمال فهي طاعات من تبارك في نفسها والامان
لا يزيد ولا ينقص والامان والا سلام واجد واحد لله العبد التصديق والاقوله صحيح لان لول انما هو
والاشيخ له ان يقول انا مومر ان سأل الله والسجدة قد تشيخ والسبع قد يسجد والله تعالى في السجدة
والشقاق دور الاسئلة والاشيخ فيهما صفت الله تعالى ولا تخبر على الله تعالى ولا على صفة الله تعالى
الوسل كراهة وقد لرسول الله رسلا في البشر بشر ومنهذين ويميئس للناس ما يحاكي الله من
امور الدنيا والدين ويرهبهم بالمحبات الناقضات للجلالات واول الانسا آدم عليه السلام واهم
محمد صلى الله عليه وسلم وداري سان عود هم في بعض الاحكام والاولى ان لا يقصر على عود في
المسمة فقد ذلك تعالى منهم في قصصنا عليلك ومنهم من لم يقصص عليلك والاولى في ذلك العود ان
يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج عنهم من هو منهم وكلهم كما نوا يبلغ عن الله تعالى صلا فينا نحن



وافضل الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم والملائكة عبيد الله تعالى والعالمون بامره ولا يوصفون بغيره ^{نبي}
 ولله تعالى كتب انزلها على انبيائه بن فيها امره ونهيه ووعده وعيده والنعى والفرح والسرور والحدود والحدود
 في القسط مستخذه الى السماء ثم الخ الى سائر خلقه من الملائكة والجن والانس والحيوان والنبات والارض والسموات والارض
 نفس الخلق للولاء من قطع المسافة البعيدة في الماء القليله وظهور الطعام والشراب واللباس عند الحاجة
 والتمسح على الماء في الحمام والجماع والجماع والجماع والجماع والجماع والجماع والجماع والجماع والجماع والجماع
 ويكفر ذلك بمحض الرسول الذي ظهرت هذه الكرامات لواجده امته لانه يظهرها انه ولى ولز يكون وحيا الا وان يكون
 نجما في يده ومانته الا فيلر برسالة رسول الله افضل البشر بعد الانبياء او يكمل الصدوق ثم عمرا العاروف
 ثم بعلمها ملك واما انهم من الامم بقوم يتنفذ احكامهم واما متجددوهم وسد نفوسهم وتجهنمهم
 داخل صديقاتهم وهم المتفعله والمتلصقة وقطاع الطرق واما في الجمع والاعلاء وقطع المبارعات الواحد من الهبل
 وقبول الشهوات القائمة على الحفوف ونودج الصغار والصغار الذين لا ادنى لهم وقسمته الغمام ثم يلقى
 ان يكون الامام ظاهره لا تخفيا منتظرا ولا يكون من فرس ولا يجوز غيرهم ولا يتحصن بيدها ثم وادوا على الله
 وان ستر ان يكون معصوما ولا ان يكون افضل من اهل زمانه واستر ان يكون من اهل الولاية كما سياتي فلا ارفع
 الاحكام وحفظ حدود الله والاسلام واصناف المظلوم من الظالم ولا يتحول الامام بالفسق والتجسس والصلوة خلف
 كل يروفاخر ويصلي على كل يروفاخر وكلفه ذكر الصيام الا بتجديد واستبدل الحنيفة المصحح الذي يشره على
 الامام بالحنيفة ويرك المسج على الخليل في الحضر والسفر ولا يتجزم بنسب الحجر ولا سلع وفي راحة الانبياء ولا يصل الهبل
 الحجت سقط عنه الامر والهوى والنصوص على طواهيها والحدود عنها الى ما كان يدعيها اهل الباطن الجاهل وهو
 ورد النصوص كقدر واستعمال المعصية كقدر والاستهانة بها كقدر والاستهانة على الشريعة كقدر واللباس من الله كقدر
 والامر من الله كقدر وتصلق الكاهن بما يتخبر به من الغيب كقدر والمخدم للسنن في دعا الاجبا للاموات وصدقات
 عنهم نفع لهم وان تدعى بحسب الاعراب ونقض الحجاب وسنن اخبره النبي عليه السلام من شرائط الصاعقة وحرمة
 الرجال ودان الارض وناحوه ويزول عيسى عليه السلام من السماء وطلوع الشمس من مغربها وهو في ظهر
 درصه وقد عظمه ورسول البشر افضل ورسول الملائكة ورسول الملائكة افضل وعامة البشر وعامة السنن افضل من عباد الملائكة

فصل في الخصال التي جعلها النبي عليه السلام من رسول الامم والالهي

روى ابوهريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام انه قال لايمان يضع وجوهها ما اعلاها سهلك ان لا اله الا الله وادنا
 اياها الا اذى الطوبى والجنة شعبه من الامان قال رضي الله عنه افض ما ساد له لفظ الحارث تسعة وجوه
 ولم يرد بعد لها باعها في حرم واجد العالمين عذوا ذلك على وجوه وانا اعربها على ترتيب اجزاها وعما الاجم الهبل
قوله بداء الحارث بالمهلل والابى عليه الكثير والسنج والعمود العمود والحدود والحدود
 والتمسح والامانة والنظافة والطهارة والصلوة والذكوة والصيام والقيام والاعتكاف والجماع والجماع والجماع
 والصدقة والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود
 وتقوى الجنان وحفظ اللسان والسنن والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود والحدود

نسخ من نسخة
 نسخة من نسخة
 نسخة من نسخة
 نسخة من نسخة
 نسخة من نسخة
 نسخة من نسخة
 نسخة من نسخة
 نسخة من نسخة
 نسخة من نسخة
 نسخة من نسخة

متن أصول الدين على اعتقاد المهتدين

[ورق: ٢ ب] أصول الدين على اعتقاد المهتدين

{سطر ١} قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها متحقق خلافاً للسوفسطائية. ثم

أسباب العلم للخلق ثلاثة: {٢} الجواس الخمس، وخبر الصادق، والعقل. والجواس

هي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس، وبكل حاسة {٣} منها توقف على ما

وضعت هي له. وخبر الصادق على نوعين، أحدهما: الخبر المتواتر الثابت على ألبسة

قوم لا يتصور {٤} توأطهم على الكذب، وهو موجب للعلم الضروي، كالعلم بالملوك

الحالية في الأزمنة الماضية، والبلدان النائية {٥}. والثاني: خبر الرسول، المرؤيد بالمعجزة

يوجب العلم الاستدلالي. والعلم الثابت به أيضاً هي العلم الثابت بالضرورة {٦} في

التيقن والثبات. وأما العقل: فهو سبب للعلم أيضاً، وما ثبت منه بالبديهة فهو

ضروري بأن كل شيء أعظم من جزءه {٤}، وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي.

والإلهام ليس من أسباب معرفة صحة الشيء عند أهل الحق. والعالم {٨} يجمع

أجزائه مُحدَث، إذا هو أعيان، وأعراض. والأعيان: ما له قيام بذاته، وهو إما

متركب، وهو الجزء الذي لا يتجزئ {٩}، وهو الجوهر. والأعراض: ما لا قيام له بذاته،

ويتحدث في الأجسام والجواهر كالألوان، والألوان والطعم و[الروائح (على الهامش)] {١٠}

والمحدث للعالم هو الله تعالى الواحد، القديم، الحي، القادر، السميع، البصير، الشافي

المريد، ليس بعرض، ولا جوهر، {١١} ولا جسم، ولا مَصَوَّر، ولا محدود، ولا معدود، ولا متبعض،

ولا متجزئ، ولا متركب، ولا متناهي، ولا يُوصف بالمائية، [ورق ١٣] ولا بالكيفية، ولا تتمكن

في مكان، ولا يتجزئ عليه زمان، ولا يشهه شيء، ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء.

وله صفات أزلية {٢} قائمة بذاته. وهي لا هو، ولا غيره. وهي: العلم، والقدرة،

والحياة، والقوة، والسمع، والبصر، والإرادة، والمشية، والفعل، {٣} والتخليق، والترزيق،

والكلام، وهو متكلم بكلام، هو صفة أزلية ليس من جنس الحروف والأصوات، وهي

منافية {٤} للسلوك والآفة، والله تعالى متكلم بها أمر، ناهي، مخبر، والقرآن: كلام

الله تعالى غير مخلوق، وهو مكتوب في {٥} مصاحفنا، محفوظ بقلوبنا، مقروء بالسنة،

مسموع بأذاننا، غير حال فيها. والتكويين: صفة لله تعالى أزلية، وهو {٦} تكويين للعالم،

ولكل جزءٍ منهم لوقت وجوده، وهو غير المكمّون عندنا. والإرادة: صفة لله تعالى أزلية،

قائمة بذاته. {٤} ورؤية الله تعالى جائزة في العقل، واجبة بالنقل، ورد الدليل السمعى

بإيجاب رؤية المؤمنين لله تعالى في الدار {٨} الآخرة، فيرى لافي مكان، ولا على جهة

من مقابلة، أو اتصال شعاع، أو ثبوت مسافة بين الرأي وبينه تعالى. والله تعالى {٩}

خالق كل أفعال العبد من الكفر، والإيمان، والطاعة، والعصيان، وهي كلها بمشيئته و

إرادته، وحكمه، وقضيته، وتقديره. {١٠} وللعباد أفعال اختيارية يتأبون بها، ويعاقبون

عليها. والحسن منها برضا الله تعالى، واليخب منها ليس برضاها. {١١} والاستطاعة مع

الفعل وهي: حقيقة القدرة التي يكون بها الفعل. ويقع هذا الاسم على سلامة

الأسباب، والآلات، {١٢} والجوارح، وصحة التكليف تعتمد هذه الاستطاعة. ولا يكلف

العبد ما ليس في وسعه، وما يوجد من الألم في المضروب {١٣} عقيب ضرب إنسان،

والإنكسار في الزجاج عقيب كسر إنسان، وما أشبهه، كل ذلك مخلوق لله، لا صنع للعبد

فيه. {١٤} والمتقول ميت بأجله، والأجل واحد. والحرام رزق، وكل يستوفي رزق

نفسه حلالاً كان أو حراماً، {١٥} ولا يتصور أن لا يأكل إنسان رزقه، أو أن يأكل غيره

رزقه. والله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء وما هو إلا صلح {١٦} للعبد فليس ذلك

بواجب له على الله تعالى. وعذاب القبر للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين، وتنعيم

أهل {١٧} الطاعة في القبر، وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل السمعية. والبعث حق،

والجنته حق، والوزن حق، {١٨} والكتاب حق، والسؤال حق، والحوض حق، والصراط

حق، والنار حق، والجنة حق، وهما مخلوقان، ووجودتان، {١٩} باقيتان، لا تغنيان، ولا

ينفي أهلهما. والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان، ولا تدخله في الكفر. {٢٠}

والله لا يعفر الشرك، ويعفر ما دون ذلك لمن يشاء من الكبار، والصغار. ويجوز

العقاب على الصغيرة، {٢١} والعفو عن الكبيرة، إذ لم يكن عن استئصال، والإستحلال

كفر. والشفاعت ثابتة للرسول والأخيار {٢٢} في حق أهل الكبار بما لمستفيض من الآخبار.

وأهل الكبار من المؤمنين لا يُحْطَدون في النار. والإيمان {٢٣} هو التصديق بما جاء

من عند الله تعالى، والإقرار به. فأما الأعمال: فهي طاعات، فهي تزيدي في أنفسها.

والإيمان {٢٣} لا يزيد، ولا ينقص. والإيمان والإسلام واحد. وإذا صح للعبد التصديق

والإقرار، صح لله أن يقول: أنا مؤمن حقًا، {٢٥} ولا ينبغي له أن يقول: أنا مؤمن

إن شاء الله. والسعيد قد يشقى، والشقي قد يسعد، والتغير يكون على السعادة {٢٦}

والشقاوة، دون الإِسعاد والإِشقاء، فهما من صفات الله تعالى، ولا تغير على الله

تعالى، ولا على صفاته. وإرسال {٢٧} الرسل حكمة، وقد أرسل الله رُسُلًا من البشر

إلى البشر مبشرين، ومنذرين، ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من {٢٨} أمور الدنيا

والدين، وأيدهم بالمعجزات الناقضات للعادات. وأول الأنبياء آدم عليه السلام،

وآخرهم {٢٩} محمد صلى الله عليه وسلم. وقد روي بيان عدد هم في بعض الأحاديث،

والأولى: أن لا يقتصر على عدد في {٣٠} التسمية، فقد قال تعالى: {منهم من قصصنا عليك

ومنهم من لم نقصص عليك}، ولا يؤمن في ذكر العدد أن {٣١} يدخل فيهم من ليس

منهم، أو يخرج منهم من هو فيهم، وكلهم كانوا مبلغين عن الله تعالى، صادقين

ناصحين، [ورق ٣ ب] وأفضل الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. والملائكة عباد

الله تعالى العاملون بأمره، ولا يصفون بذكورة ولا أنوثة. {٣٢} والله تعالى كتب أنزلها

على أنبيائه، بين فيها أمره ونهيه، ووعدده ووعدده. والمعراج لرسول الله محمد

صلى الله عليه وسلم {٣٣} في اليتقط، بشخصه إلى السماء، ثم إلى ما شاء الله تعالى من

العلوي حق. وكرامات الأولياء حق، فنظهر الكرامة على طريق {٣٤} نقض العادة للوأي

من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة، وظهور الطعام، والشراب، واللباس عند

الحاجة، {٥} والمشي على الماء، وفي الهواء، وكلام الجماد والجماء، واندفاع متواجده

البلاء، وكفاية المهتم من الأعداء، وغير ذلك من الأشياء. {٦} ويكون ذلك معجزة

لرسول، الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته لأنهم يظهرون بها أنه ولي، ولن

يكون ولياً إلا وأن يكون {٤} مُحَقَّقاً في ديانته، وديانته إقرار برسالة رسوله. وأفضل البشر

بعد الأنبياء أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، {٨} ثم عثمان ذو النورين، ثم علي

المرتضى رضي الله عنهم. وخلافتهم ثابتة على هذا الترتيب أيضاً. والخلافة ثلاثون

سنة، {٩} ثم بعدها ملك وإمارة. والمسلمون لا بد لهم من إمامهم، يقوم بتنفيذ

أحكامهم، وإقامة حدودهم، وسد ثغورهم، وتجهيز جيوشهم، {١٠} وأخذ صدقاتهم، وقهر

المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق، وإقامة الجمع والأعياد، وقطع المنازعات الواقعة

بين العباد، {١١} وقبول الشهادات القائمة على الحقوق، وتزويج الصغار، والصغار الذين

لا أولياء لهم، وقسمة الغنائم. ثم ينبغي أن يكون الإمام ظاهراً، ولا مخفياً منظرًا، ويكون

من قریش، ولا يجوز من غيرهم، ولا يختص بنبي هاشم، وأولاد علي رضي الله عنهم.

{١٢} ولا يشترط أن يكون معصوماً، ولا أن يكون أفضل من أهل زمانه. ويشترط أن

يكون من أهل الولاية، سائماً قادراً على تنفيذ الأحكام، وحفظ حدود دار الإسلام،

وإنصاف المظلوم من الظالم ولا يعزل الإمام بالفسق. ويجوز الصلوة خلف {١٣} كل

بر وفاجر، ويُصلى على كل بر وفاجر. ويكف عن ذكر الصحابة إلا بخير، وشهد بالجنة للعشرة

الذين بشرهم النبي عليه {١٣} السلام بالجنة. ويرى المسح على الخفين في الحضر والسفر، و

لا نحرّم نبذ الحجر. ولا يبلغ ولي درجة الأنبياء، ولا يصل العبد {١٥} إلى حيث يسقط عنده

الأمر والنهي. والنصوص على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل

الباطن إلحاد وكفر. {١٦} ورد النصوص كفر، وإستحلال المعصية كفر، والإستحانة بها كفر،

والإستهزاء على الشريعة كفر، واليأس من الله كفر، {١٧} والأمن من الله كفر، و

تصديق الكاهن بما يتخبر عن الغيب كفر. والمعدوم ليس بشيء. وفي دعاء الأحياء

للأموات، وصدقتهم {١٨} عنهم نفع لهم، والله تعالى يبيح الدعوات، ويقضي

الحاجات. وما أخبر به النبي عليه السلام من أشراف الساعة من خروج {١٩} الدجال،

ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع

الشمس من مغربها هو حق. والجهنم {٢٠} قد يصب، وقد يحظى. ورسل البشر أفضل

من رسل الملائكة، ورسل الملائكة أفضل من عامة البشر، وعامة البشر أفضل من

عامة الملائكة.

شرح أصول الدين على اعتقاد المهتمين

قال أهل الحق: حقائق الأشياء ثابتة

وَجِبَتْ الْإِسْنَادُ بِالْإِلَهِ:

النقل: قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ {التغابن: ٣}، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ {آل عمران: ١٩١}.
إنَّ السماوات والأرضَ تشملمان سائرَ المخلوقات كالناسِ، والحيوانِ، والنباتِ، والجبالِ، والأحجارِ، وغيرها. وأشار عزَّ وجلَّ إلى أَنَّ كُلَّ من هذه المخلوقات مخلوقٌ بالحقِّ؛ أي: إنَّ الحقَّ موجودٌ في كلِّ منها، وبذلك الوجودِ يُثَبَّتُ للحقائقِ وجودُها في الأشياءِ. وبالعكس: ما خلق اللهُ شيئًا بالباطلِ كما ذُكِرَ في الآيةِ الثانيةِ.

العقل: الحقيقةُ هي كونُ الشيءِ بما هو. ويُثَبَّتُ ذلكَ بثبوتِ أحدِ وجهين: إمَّا أن يكونَ الشيءُ موجودًا، وإمَّا أن يكونَ معدومًا. فإنَّ كان موجودًا، فاتصالُ سائرِ المخلوقاتِ به مُمكنٌ. وإنَّ كان معدومًا، فاتصالُها به مُستحيلٌ؛ لأنَّ الاتصالَ بالمعدومِ معدومٌ. فإنَّ وُجِدَ هذا الشيءُ، وُجِدَ الاتصالُ به أيضًا. وهذا الاتصالُ يُثَبَّتُ جهاتٍ وجوديةٍ له، وتلك الجهاتُ هي حقائقُه.

والعلم بها متحقق

في حين الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ {البقرة: ٣١}.
يُخْبِرُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَالْعِلْمُ بِهَا يَتَضَمَّنُ حَقَائِقَ
الْأَشْيَاءِ؛ إِذِ الْأَسْمَاءُ يُجَلِّي حَقِيقَةَ الْمَسْمُومِي وَمُمَيِّزُهُ عَنْ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ.
وتشهد هذه الآية على إمكان إدراك الحقائق علمًا.

العقل: فالاتصال بين شيئين موجودين ممكن لا تتحادهما في الوجود.
فإذا وُجِدَ الشَّيْئَانِ، وَوُجِدَ الْإِتِّصَالُ بَيْنَهُمَا. وَحَقِيقَةُ الشَّيْءِ تُثَبِّتُ بِنَاتِ
حَالِهِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَالُهُ وَجُودًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَدَمًا. فَإِنْ كَانَ حَالُهُ
مَوْجُودًا، وَوُجِدَتْ حَقِيقَتُهُ. وَإِنْ وُجِدَتْ الْحَقِيقَةُ، فَهِيَ مَعْلُومَةٌ لِاتِّحَادِهَا مَعَ
الْعِلْمِ الْمَوْجُودِ فِي الْخَارِجِ.

خلافًا للسوفسطائية

في حين الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ {الصفات: ١٧٩}.

أثبت الله أنّ الكفار سيُبصرون، أي: سيَعلمون. ورَعَمَتِ السوفسطائية استحالة إدراك حقائق الأشياء، وتنقسم إلى ثلاث فِرَق:

١. **العنادية:** زَعَمُوا استحالة الوصول إلى علمٍ يقيني؛ لأنّ العالم غير موجودٍ في الخارج، بل هو فقط في أذهانِ الناس. لكنّهم يُثبتون رأيهم بإثباته في الخارج، وهم متناقضون.

٢. **العندية:** زَعَمُوا أنّ العلمَ بالأشياء يختلف باختلاف الأشخاص، وكلُّ علمٍ صحيحٌ عند صاحبه. فالأوّل يُثبت الحقَّ باطلاً، والثاني يُثبت الباطلَ حقًا، وكلاهما "صحيح" عندهم. وهذا باطل؛ لأنّه يستلزم اجتماع النقيضين: وجود الشيء وعدمه في آنٍ واحدٍ.

٣. **اللاأدرية:** لا يعلمون هل يُدركون الحقائق أم لا، وفسادهم مُرتبطٌ ببطلانٍ مذهبِ العندية.

العقل: فالاتصال بشيءٍ موجودٍ ممكن، وعدم إمكان إدراك الأشياء له سببٌ واحدٌ: انقطاع الاتصال بالحدِّ بينها. فإذا انتفى هذا الحدُّ، اكتملت طريق المعرفة.

ثم أسباب العلم للمخلق ثلاثة: الحواس الخمس، وخبر الصادق،
والعقل. والحواس هي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس.
وبكل حاسة منها توقف على ما وضعت هي له

وجيئة الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ {النحل: ٧٨}، وقال: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ {الصفافات: ١٧٩}، وقال: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ {الإسراء: ٣٦}. أثبت الله أن الحواس كالسمع والبصر مسؤولة عما حصلت عليه من علم.

العقل: فالإنسان يتصل بالأشياء عبر الحواس. فالاتصال بالصور والأشكال يتم بالبصر، وبالأصوات بالسمع، وهكذا سائر الجهات الوجودية. وامتناع الاتصال البصري يحدث: إما لانعدام البصر، أو لانعدام الشيء، أو لوجود حاجب أو حدٍ بينهما. وهذه الموانع كلها من أنواع العدم. فإذا انتفت هذه الموانع، حصل الاتصال صحيحًا؛ لا اتحاد المتصلين في الوجود.

وخبِر الصادق على نوعين، أحدهما: الخبر المتواتر الثابت
على ألسنة قوم، لا يتصور تواطؤهم على الكذب، وهو
موجب للعلم الضروري، كالعلم بالملوك الحالية في
الأزمنة الماضية، والبلدان النائية

عن أبيه الإسناد لإين:

النقل: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا﴾ {الحجرات: ٦}. يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ إِذَا جَاءَ أَحَدٌ بِخَبْرٍ، وَجَبَ
عَلَى النَّاسِ التَّحَقُّقُ مِنْ صِحَّتِهِ. وَلَا تَثْبُتُ صِحَّةُ الْخَبْرِ بِرَوَايَةِ وَاحِدَةٍ حَتَّى
لَوْ كَانَتْ عَنِ ثِقَاتٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ رَاوٍ فِي طَبَقَاتِ السَّنَدِ غَيْرُ مَعْصُومٍ، وَيُجْتَمَلُ
وَقَوْعُهُ فِي الْخَطَأِ أَوْ تَحْرِيفِ الْخَبْرِ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا. لِذَا وَجَبَ تَعَدُّدُ الرِّوَايَاتِ
وَالْأَسَانِيدِ، وَهَذَا التَّعَدُّدُ يُسَمَّى "التَّوَاتُرَ". فَالْإِيْمَانُ بِالْخَبْرِ الْمُتَوَاتِرِ أَوْ الْمَشْهُورِ
فَرْضٌ. أَمَا قَبُولُ الْخَبْرِ الْوَاحِدِ: فَالْإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَمَنْ تَرَكَه كَانَ فَاسِقًا.
وَمَنْ أَنْكَرَ الْمُتَوَاتَرَ أَوْ الْمَشْهُورَ كَفَرَ.

العقل: فخبِر الواحد لا يُورثُ علمًا يقينيًا، بل غلبة ظنٍّ فقط؛ لأنَّ
الإنسانَ عُرضَةٌ للخطأ والسهو أو التعمُّد. ولا يُؤمَّنُ تحريفُ الخبرِ إلا بكثرة
الرواة الثقاتِ في كُلِّ طبقةٍ من طبقاتِ السندِ، مع تحقُّقِ نقلِهِ بالحواسِّ،

واستحالة مخالفته للعقل، كاجتماع الصِّدِّينِ. فكلما زاد انتشارُ الخبرِ، قلَّ احتمالُ الخطأ. وإنَّ حَرْفَهُ واحدٌ، بَقِيَ سائرُ الرواياتِ على الصوابِ.

والثاني: خبر الرسول الممؤيد بالمعجزة يوجب العلم الاستدلالي، والعلم الثابت به يضا هي العلم الثابت بالضرورة في التيقن والثبات
وجيئة الإسناد بال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿اَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ {القمر: ١- ٢}. رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَّتَيْنِ، فَقَالَ: اشْهَدُوا" {صحيح مسلم: ٢٨٠٢}. وروى أنس بن مالك رضي الله عنه: "أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةً، فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شَقِيئِينَ حَتَّى رَأَوْا جِرَاءَ بَيْنَهُمَا" {صحيح البخاري: ٣٨٦٨}. وعند الطحاوي، رحمه الله، بلغت أحاديث انشقاق القمر درجة التواتر. طلب كفار قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة لقبول الإسلام، فكانَ هذا تَحَدِّيًّا. لو لم يُجِبْ طلبهم لظَهَرَ انقطاع الصلة بينه

وبين خالق القمر. ولما استجاب الله دعاءه فشقَّ القمر، ظهرت العلاقة بينهما، وبها ينزل الوحي. ولو لم تكن تلك الصلة لما خلق الله ما سئل، ولظَهَرَ كذب المدَّعي.

العقل: لإظهار حقيقة بعث الرسول يجب حدوث واقعة تثبت صلته بخالق العالم؛ لأنَّ المدَّعي بالوحي يزعم اتصالاً بالخالق. ولا يُثبت هذا إلا بمعجزة خارقة للعادة لا يقدر عليها البشرُ بالأسباب الطبيعية كالتلازم العاديّ، وهو من أركان وجود العالم. (فسميت معجزة؛ لأنها تُعجزُ البشر عن الإتيانِ بمثلها. وأثبت الله التلازم العاديّ في قوله: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ {فاطر: ٤٣}). فإذا أحدث المدَّعي المعجزة المطلوبة عقيباً لتحدّي المنكرين، ثبتت صحه علاقته بالخالق؛ فيتضح أنَّ الوحي ينزل عليه بواسطتها. لأنَّ الله يختار ما يشاء، ولن يخلق ما يسأل عنه الكاذب؛ إذ سيصيرُ بذلك مُصدِّقاً لكذبه. وهذا محال؛ لأنَّ الكذب دليلُ عجز المدَّعي عن إيجاد ما زعمه. والخالق منزّه عن العجز؛ فهو يخلق ما يشاء من الممكنات، ولا يريد المستحيلات كاجتماع الضدين، لأنَّ إرادته تتبع علمه الذي لا يحتوي على جهل؛ والجهل لا يكون إلا فيمن سبقه العدم، إذ الجهل هو حدُّ للعلم؛ وكل محدودٍ محدودٌ بعدم وجوده الذي كان قبل وجوده لأنه موجودٌ. ومن سبقه العدم فهو مخلوقٌ وليس بخالق العالم. فقد

ثبت أنّ خالقَ العالمِ يخلق ما طلب الناس لإثبات صدق رسوله ولنْ يخلق ما طلبوا لإثبات الكذب. ويكون ذلك الخلق إظهارًا لصحة العلاقة بين خالق العالم وبين رسوله، بواسطتها ينزل الوحي إليه، فيصير هذا الوحي علمًا حقيقيًا.

وأما العقل: فهو سبب للعلم أيضًا، وما ثبت منه بالبديهة فهو ضروري بأن كل شيء أعظم من جزئه، وما ثبت بالاستدلال فهو اكتسابي
وجيمه الاستدلال:

النقل: أشار الله سبحانه إلى أن المؤمن يبلغ إيمانه بالنظر في مخلوقات السموات والأرض وكيفية وجودها، أما الذين لا يؤمنون فهم الذين لا يتأملون في السموات والأرض ولا يتفكرون في عجائب المخلوقات. وهذا النظر والتأمل في الآيات الكونية يكون سببًا لظهور الإيمان من خلال التفكير فيها. قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ {البقرة 111}. تبين الآية أنّ الفكرة الخالية من البرهان هي في حقيقتها أمنية.

وقد وجه الله هذا الخطاب لأهل الكتاب دلالةً على أنّ البرهان المطلوب ليس من جنس النصوص المقدّسة، إذ لا يؤمن أهل الكتاب بالقرآن والسنة، كما لا يؤمن المسلمون بالتوراة والإنجيل المحرفين. وقد أكد الله سبحانه هذه المعاني في آيات عدة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ {البقرة ١٦٤}، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ {آل عمران ١٩٠}، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ {آل عمران ١٩١}، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ﴾ {الدخان ٣٨}، ﴿وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {الدخان ٣٩}. كل هذه الآيات تدلّ على أنّ التفكير في خلق السماوات والأرض وما بينهما طريقٌ لحصول العلم اليقيني بأركان الكون ومعرفة خالقه.

العقل: كما ذكرنا سابقاً إذا ارتبط شيئان ارتباطاً وجودياً، كان وجودهما متلازماً. فوجود الشيء يستلزم وجود صفاته الحسية كشكله أو صوته أو طعمه، ويجعل إدراكها بواسطة الحواس ممكناً. ويتكوّن العلم في الذهن عبر هذه الحواس، فيخترن العقل الموجودات ويحفظ تحولاتها بين العدم والوجود. العالم قائم بقوانين ثابتة، والإنسان قادرٌ أثناء تفكيره على إجراء المقاييسات بينها، فتكون نتيجته صحيحةً إذا صحّ القياس. ومن ينكر كون العقل أداةً للمعرفة، فإمّا يستخدم العقل لإثبات دعواه؛ وبهذه الدعوى يثبت المدّعي أنّ العقل سببٌ للعلم، وإن لم يفهم ذلك.

ثم يجب أن نعلم أن الأحكام العقلية ثلاثة: الواجب، و هو ما لا يتصور العقل عدمه. والمستحيل، هو ما لا يتصور العقل وجوده. والجائز هو ما يصح في العقل وجوده وعدمه. وينقسم العلم إلى قسمين: أحدهما ضروري: وهذا العلم يقع في العقل بشهود أحوال العالم دون اختيار العبد و يقع بواسطة الحواس المذكورة. و حينما يكتمل هذا العلم يبلغ الإنسان سنّ التكليف. والثاني اكتسابي: وهو ما يقيس العقل باختيار العبد من العلم الضروري الذي يوجد في ذهنه من قبل، وعلى ذلك العلم يقع الثواب والعقاب بحسب ما اختار العبد. وهكذا أوضحنا أنّ العقل يكون سبباً لمعرفة صحة الأشياء كالحواس المذكورة أو كالخبر الصادق. ملاحظة

مهمة: قال علماؤنا الماتريديّة، منهم الأسمندي: "العلم بالله تعالى واجب عقلاً، ولا حصول للعلم بالله تعالى إلا بالنظر وكان واجباً كوجوبه ضرورة". ويثبت وجوب معرفة الله عقلاً بما روي عن صاحب المذهب أبي حنيفة، رحمه الله، أنّه قال: "ولو لم يبعث الله تعالى للناس رسولاً: لَوَجَبَ عليهم مَعْرِفَتُهُ بِعُقُولِهِمْ" (٥). وفيه إشارة أنّ معرفة الله متقدمة لمعرفة الرسول والسمعيّات. قال الأسمندي في مسألة التقليد في الاعتقاد: "ومنهم من قال: إن الواجب هو الفرع إلى التقليد، وهو طريق لمعرفة صحة الأديان، وهذا باطل لما ذكرنا أنه يؤدي إلى صحة الأديان المتناقضة، وأن يكون الدين الواحد صحيحاً وفاسداً. ثمّ الدليل إلى فساد التقليد المحض أن قول المقلد يحتمل أن يكون خطأً ويحتمل أن يكون صواباً، وليس مع المقلد دليل على ذلك إلا النظر والاستدلال، فيجب الرجوع اليهما. ثمّ يقال للمقلد: قلّدت هذا الشخص على أنه محق أو على أنه مبطل أو على أنك جاهل بحاله؟ إن قال: على إنه مبطل، فهذا بعيد لأنه زعم أن الباطل متبع. وإن قال: على أبي جاهل بحاله، فيقال له: لم كان تقليدك إياه أولى من تقليد غيره؟ وإن قال: على أنه محق، فيقال له: بم عرفت

° أنظر: "إشارات المرام من عبارات الإمام" لكمال الدين البياضي، ص ١٨١

كونه محققاً؟ فإن قال: بالتقليد، فهذا باطل بما ذكرنا، وإن قال: بالنظر والاستدلال، ثبت أن طريق معرفة صحة الأديان هو النظر والاستدلال، فيجب الرجوع إليه. فإن قيل: في هذا نفى صحة الاعتقاد عن عامة المسلمين وقولٌ ببطلان إيمان المقلد، وهو مخالف للمذهب السديد. قلنا: عنه جواباً، أحدهما: أن المسلم العامي متنا ليس بمقلد محض، بل هو عالم بالله تعالى ورسوله على طريق الإجمال، لأنه يعرف أن البناء لا بد له من بانٍ، والمحدث لا بد له من محدثٍ، ويعلم بالتواتر أن النبي عليه السلام جاء وادّعى الرسالة وأقام المعجزة على ذلك، وأتى بالقران الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله، فهو عالم بهذا بالجملة، وإن كان لا يعلم بتفاصيل ذلك، ووجه الدلالة عليه ولا يقدر على حلّ الشبهة، ولكن قبل اعتراض الشبهة فهو مؤمن عارف بالله تعالى". ا هـ (٦)

(٦) لباب الكلام للأسمندي، ص ٥٠-٥٢

والإلهام: ليس من أسباب معرفة صحة الشيء عند أهل الحق

عن جين الإسلام للإسلام:

النقل: قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ {الشمس ٨}، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ {ق ١٦}، وقال عز وجل: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ {طه ١٢٠}. يخبر الله تعالى أنه خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه من فجور أو تقوى، كما يوسوس الشيطان له بالفجور. وقال الله: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ {آل عمران ٣٩}، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ {آل عمران ٤٢}. يخبر الله أن الملائكة تنادي بعض البشر، وقد تبين أن النفس والشياطين تنادي البشر أيضًا. فإن عجز الإنسان عن التمييز بين نداء الملك ونداء الشيطان، لم تكن هذه النداءات ثابتة الصحة؛ لاحتمال أن يكون النداء صادرًا من الشيطان.

العقل: كل موجودٍ يمكن أن يتصل بوجود آخر عبر الحواس أو غيرها. فإن حُجِبَ هذا الاتصال بمانع في الحاسة، أصبح مشكوكًا فيه

لا احتمال حصول العلم من مصدر غير موثوق. ويكون هذا العلم نتيجةً
لا من مقدماتها الصحيحة.

والعالم بجمع أجزاءه مُحدَثٌ في حين الاستنباط لا:

النقل: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ {الزمر ٦٢}، أثبت
الله أن كل شيء دونه مخلوق ومُحدَث.

العقل: إننا نرى أن كل شيء حولنا في السموات والأرض متحرك،
وهذا التحرك لا بُدَّ أن يكون بفناء شيء في النقطة الأولى، وبحدوثه في
النقطة الأخرى، لأننا نرى أنّ الشيء المتحرك معدوم في نقطة بداية انتقاله
حينما وصل إلى نهاية انتقاله، ولذلك يثبت أنّ كل شيء في السموات
والأرض مخلوق ومُحدَث. (هذا الدليل مأخوذٌ من الآية: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ {الأنعام ٧٦}. البرهان التالي: لو لم يكن هذا العالم
مُحدَثًا لكان أزليًا، بل نحن نرى أنّ كلّ شيءٍ في هذا العالم محدودٌ،
كالأشياء الموجودة في حدودهنَّ بواسطتها تتعدّد و تتفرّق بعضها عن
بعضٍ، إذ لا تعدّدٌ إلّا بوجودِ حدودٍ تفصل الذوات وتبني شكلها
الخارجي. كذلك جهات سِتِّ الفضاءِ محدودةٌ بمُقَابَلَةِ الجهاتِ. الجِهَتَانِ

المُتَقَابِلَتَانِ مُوجِدَتَانِ بَيْنَ عَدَمَيْنِ، لِأَنَّ مَكَانَ تَلَاقِهِمَا مُوجُودٌ أَيْضًا. وَالْعَدَمُ مَعْدُومٌ فِي جِهَاتٍ مُقَابِلَةٍ، لِأَنَّ غِيَابَ إِحْدَاهُمَا لَا يُمَكِّنُ إِلَّا بِوُجُودِهَا. وَالْحُدُوثُ يَجْرِي بَيْنَ جِهَاتِ الْعَدَمِ، وَلِذَلِكَ كُلُّ حَادِثٍ مُحَدُودٌ. فَإِنْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مُحَدُودًا فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ مُخْلُوقًا؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُوجُودٌ بِذَاتِهِ، وَإِنْ وَجُودُهُ مُحَدُودٌ بَعْدَمٍ قَبْلَ بَدَايَتِهِ، فَتَكُونُ ذَاتُهُ مُحَدُودَةً كَذَلِكَ، وَلِذَلِكَ أَثْبَتْنَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُحَدَّثٌ. وَهَذَا أَدَلَّةٌ لِحُدُوثِ الْعَالَمِ مُتَعَلِّقَةٌ بِالصِّفَاتِ تَسْمَى الْوَاجِبَةِ، الَّتِي يَجِبُ لِكُلِّ مَكْلُوفٍ أَنْ يَعْلَمَهَا./.

إِذَا هُوَ أَعْيَانٌ، وَأَعْرَاضٌ. وَالْأَعْيَانُ: مَا لَهَا قِيَامٌ بِذَاتِهَا، وَهِيَ إِمَّا مُتَرَكِّبٌ وَهِيَ [الْجِسْمُ، أَوْ] الْجُزْءُ الَّذِي لَا يَتَجَزَّى وَهِيَ الْجَوْهَرُ، وَالْأَعْرَاضُ: مَا لَا قِيَامَ لَهَا بِذَاتِهَا، وَيَحْدُثُ فِي الْأَجْسَامِ وَالْجَوَاهِرِ كَالْأَلْوَانِ، وَالْأَكْوَانِ، وَالطَّعْمِ، وَالرَّوَائِحِ
بِحَيْثُ الْإِسْتِثْنَاءِ لِأَنَّ:

النقل: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ {الرعد ٨}.
 أَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ دُونَهُ مُحَدُودٌ بِمِقْدَارٍ، وَالْمِقْدَارُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا

بالتعدّد، لأنّ مقدارَ الاثنينِ أكثرُ من مقدارِ الواحدِ؛ والتعدّد لا يتم إلا بوجود حدود بين المتعددات. فيلزم من ذلك أن يكون كل موجود دونه تعالى مركّباً من حدودٍ، وهذا التركيب يتجزّأ حتى يصل إلى الجزء الذي لا يتجزّأ يسمّى بالجواهر الفرد، إذ يستحيل انقسام الأشياء إلى ما لا نهاية له، لأنّ اجتماع الأجزاء المنتهية ليس غيرَ المنتهية.

العقل: كما سبق، يتم التعدّد بوجود حدودٍ بين الأشياء، لأنّ في وجود شيءٍ معيّنٍ عدمٌ لغيره. فإذا كان الشيء محدوداً، جاز انقسامه إلى أجزاء، لكن لا ينقسم إلى ما لا نهاية، لأنّ مجموع الأجزاء المنتهية لا يكون غيرَ متناهٍ. وكلّ مركّب يحتاج إلى أجزاء بسيطة قائمة بذاتها، أي: الجواهر الفردة. والجسم: كل مركّب من جُزأين.

والعرض في أصله هو تغيُّر الأحوال والصفات في الأجسام بطريق تجرّد أمثال الجواهر. وهو فناء الجواهر وحدوث مثله في محلّه، والفناء والحدوث هما لحظة الزمان غير المتجزّئ. المثال: حركة هي أحد الأكوان، والأكوان هي أحد أنواع الأعراض. فالحركة هي عبارة عن سلسلة اختفاء وظهور الجواهر من مكانٍ إلى مكانٍ آخر. ومن ثمّ العرض هو وصف حالة تغيُّر الجواهر. ولذلك لا يقوم بذاته.

والمحدث للعالم هو الله تعالى

عن جيمس البلاسنيك لابن:

النقل: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ {الزمر: ٦٢}. يتبين من هذه الآية أنّ الله تعالى هو محدث كل شيء. روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنَّ أولَ ما خَلَقَ اللهُ القلمُ، فقال له: أُكْتُبْ، قال: ربِّ وما أُكْتُبُ؟ قال: أُكْتُبُ مقادير كلِّ شيءٍ حتَّى تقوم الساعة" {رواه الترمذي ٢١٥٥ وأبو داود ٤٧٠٠}. يظهر من هذا الحديث أنّ أول مخلوقٍ هو القلم، ولم يسبقه خلقٌ.

العقل: يلزم بالضرورة وجود خالق للعالم، إذ قد تبين أنّ كل شيء محدث. فيكون وجود الله واجبًا، لأنّه موجودٌ بلا ابتداء، أي: موجود بلا سبب ولا شرط. ووجوده تعالى ليس كوجود المخلوقات، لأنّها من الممكنات. إذا سبق العدم وجود شيء، فلا بدّ من مرجح يحول العدم إلى وجود، وهذا المرجح لا يكون محدثًا بنفسه، إذ كان معدومًا قبل إحداثه، فيلزم أنّ يكون له خالقٌ بلا بدايةٍ. إذا تصورنا أنّ الأشياء تخلق نفسها، فإن ذلك يؤدّي إمّا إلى تسلسلٍ لا أول له، أو إلى دور باطل. أمّا التسلسل فمحال، لأنّ اجتماع الأجزاء الممتناهية ليس غير المتناهي؛ إذ

تركيب السلسلة يتحقق بوجود شيء أول وفيه عدمٌ لشيءٍ ثانٍ. وأمّا الدور فمحال أيضاً، لأنّ فيه يخلُق الأول الثاني، والثاني الثالث، والثالث الأول، فيصبح الأول مخلوقاً بنفسه، وهذا محال، لأنّ المعدوم لا يخلُق نفسه. فيلزم وجود خالق أول بلا بداية. وهذا دليل على صفة "الوجود" من الصفات الواجبة /١/. فإذا كان الخالق موجوداً بلا ابتداء، فهو لا يحتاج إلى مرجح لوجوده، ويوجد بلا حاجة إلى غيره، ووجوده غير مرتبط بأي سبب أو شرط، وهذا دليل على صفة "القيام بالنفس" من الصفات الواجبة /٢/. وإذا لم يسبق العدم وجوده تعالى، فإنّ وجوده لا يقبل العدم في المستقبل، لأنّ كلّ شيءٍ موجودٌ بذاته، وإذا كان وجوده محدوداً بمحدّد قبل بدايته، فكان ذاته محدوداً بعدم أيضاً، و لذلك كان قابلاً للعدم في المستقبل. فإذا لم يكن لوجود الله بداية، فلا يقبل العدم في المستقبل، وهذا دليل على صفة "البقاء" من الصفات الواجبة /٣/.

الواحد القديم الحي القادر السميع البصير الثاني المرید

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَأَهْلَكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ {البقرة:

١٦٣}. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ {الحديد: ٣}، أثبت الله

بهذين الاسمين معنى القِدَم، لأنَّ معنى القِدَم في اللغة يدلُّ على طول الزمان، وهذا تشبيهه بالمخلوقات، فاختار الله اسم "الأول" الدال على انفراده بالوجود قبل كل شيء، وهو أولى من لفظ القديم، وإن ورد في الأحاديث. قال الله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ {البقرة: ٢٥٥}، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ﴾ {الأنعام: ١٣٨}، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ {غافر: ٢٠}، وقال: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ {آل عمران: ٤٧}، وقال: ﴿وَلِكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ {البقرة: ٢٥٣}.

العقل: كما ذكرنا سابقاً: التعدّد يستلزم الحدود والانفصال بواسطة العدم بين الموجودين. والموجود لا يُحَدُّ بالعدم إلا قبل بدايته لأنه موجودٌ. ولذلك الزعم بوجود إلهين أو أكثر محال، لأنَّ التعدّد لا يتحقّق إلا في المخلوقات.

البرهان الآخر: لو وُجد إلهان لتنازعا: هل يستطيع أحدهما أن يخفي علماً عن الآخر؟ فإن كان يستطيع فكان الآخر جاهلاً، وإن لم يستطيع على ذلك فكان أولهم جاهلاً، هذا الدليل يسمّى بدليل التمانع المستنبط من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ {الأنبياء: ٢٢}. وهذا دليل لصفة "الوحدانية" من الصفات الواجبة/٤/.

يستحيل حدوث الإله لأنه لو لم يكن إلهً قديمًا فكان حادثًا وهذا مُحال، لأنه يستلزم منه وجود مَنْ خلقه، وخالق مَنْ خلقه، وكذا بلا نهاية، وهذا محال، لأنّ جملة أجزاءٍ متناهيةٍ ليست غير متناهية، فيجب أن يكون إلهٌ أولٌ، قديمٌ بلا بدايةٍ. وهذا دليل لصفة "القدم" من الصفات الواجبة/٥/.

لو لم يكن إلهً حيًا فكان ميتًا ويستحيل موت الإله، لأنّ الميت عاجز، معدوم التأثير. وهذا دليل لصفة "الحياة" من الصفات الواجبة/٦/.

لو لم يكن قادرًا فهو عاجزٌ، ويستحيل عجزُ الإله لأن العجزَ نقصٌ بحدِّ ذاته. والناقصُ المحدودُ لا يمكن أن يكون إلهًا، بل هو مخلوقٌ، كما تقدّم. وهذا دليل لصفة "القدرة" من الصفات الواجبة/٧/.

لو لم يكن سميعًا بصيرًا فكان أصمًّا وأعمًا، وكلاهما من أنواع الحدود في السمع والبصر، وكل محدودٍ هو مخلوقٌ. هاتان صفتان متعلّقتان بكلِّ موجودٍ، وكذلك على المشيئة والإرادة، لأنه لو لم يكن شائئًا ومريدًا فكان بلا مشيئة وإرادة وهذا كذلك نوع من حدِّ العدم في الإرادة وفي المشيئة؛ وكل محدودٍ هو مخلوقٌ كما بينّا، وإرادته متعلّقة بكلِّ جائز، وهذا أدلّة لصفات "السمع" /٨/ و"البصر" /٩/ و"المشيئة" و"الإرادة" /١٠/ من الصفات الواجبة.

ليس بعرض ولا جوهر ولا جسم ولا مصوّر ولا محدود ولا معدود
 ولا متبعض ولا متجزئ ولا متركب ولا متناهي ولا يُصَف
 بالمايئة ولا بالكيفية ولا يتسكن في مكان ولا يتجري عليه زمان
 ولا يشبهه شيء ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء

عن أبيه الإسكندر بن إبراهيم:

النقل: قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
 {الشورى: ١١}، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ {الإخلاص:
 ٤}. هاتان الآيتان تنفيان كل نوع من أنواع المماثلة والتشبيه. كما قال
 أبي بن كعب، رضي الله عنه، في حديثه في تفسير آية: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
 أَحَدٌ﴾: "لم يكن له شبيه ولا عدل، وليس كمثل شيء" {سنن الترمذي:
 ٣٣٦٤، حديث حسن}. ينفي أبي بن كعب التمثيل والتشبيه والتعديل،
 وهذا كله من درجات المماثلة، منهنّ الشبّه هو أسفل درجات المماثلة
 وهو التمثيل الجزئي، ومثله هو نفس المماثلة وهو التمثيل الإجمالي، وعدل
 هو التمثيل المطلق وهو التمثيل في كل الأطراف.

وكل ما جاء في صفاته من الآيات المتشابهات فيجب أن نعلم:
 أن الله فصل الآيات القرآنية على نوعين: أولهما: الآيات المحكمات،

والثاني: الآيات المتشابهات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {آل عمران: ٧}.

و"المُتَشَابِهَةُ" هو اسمٌ مفعولٌ للفعل السادس على وزنٍ "مُتَفَاعِلٌ"، ومعناه: المفعول من فعلٍ بين الأشياء. كلُّ الآيات القرآنية بَيِّنَاتٌ، سواءً كانت محكمةً أو متشابهةً، قال الله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ {الحج: ١٦}، أي: كلُّ آيات القرآن بَيِّنَاتٌ. وأصل الكلمة "شَبَهٌ" ومعناها: شيءٌ مثل شيءٍ آخر، كما قال الله: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ {البقرة: ١١٨}، يعني: تشابهت قلوبهم على قلوب الذين من قبلهم؛ لأنَّ قلوبهم مثل قول من قبلهم.

وبأيٍّ معنى استعمل الله في القرآن كلمة "مُتَشَابِهَةٌ"؟ في القرآن كله نجد الكلمة بمعنى واحد، قال الله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهَاتٍ﴾ {البقرة: ٢٥}، قال ابن منظور في "لسان العرب": "وقال المفسرون: مُتَشَابِهَاتٌ - يشبه بعضه بعضًا في الصورة ويختلف في الطعم، ودليلُ المفسرين قوله تعالى: ﴿هَذَا الَّذِي رُفِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾؛ لأنَّ صورته صورةُ الأولى ولكن اختلف

الطعم" (٧) اهـ. يعني: أنّ أصحاب الجنة يُعطون ثمرات الجنة لا ثمرات الدنيا، وهذا يدلّ على الفرق بينهما. كذلك قال الله: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ {الأنعام: ١٤١}، قال سمين الحلبي في "تفسيره": "و" أَكُلُهُ " مرفوعٌ — "مختلفاً" لأنه اسم فاعل، {...} وقال الحوفي: "والهاء في "أَكُلُهُ" عائدةٌ على ذِكْرِ ما تقدّم من هذه الأشياء المنشآت"، وعلى هذا الذي ذكره الحوفي لا تختص الحال بالنخل والزرع بل يكون لِمَا تقدّم جميعه {...} قلتُ: فيبقى التقدير: مختلفاً أكل ثمر الجنات وما بعدها، وهذا يلزم منه إضافة الشيء إلى نفسه، لأنّ الأكل كما تقدّم غير مرة أنّه الثمر المأكول". اهـ (٨). وقال رئيس أهل السنة، رحمه الله، في تفسيره: "منها ما يكون متشابهاً في اللون ومختلفاً في الأكل والطعم، ومنها ما يكون مختلفاً في اللون والمنظر متشابهاً في الطعم والأكل ليعلموا أن منشئها واحد". اهـ (٩). من تلك الآيات علمنا المعنى الذي استعملت فيه "مُتَشَابِهٌ": إذا شابه الشيء شيئاً آخر، فلا بدّ أن يكون بينهما فرقٌ يجعل الأول غير الآخر نفسه، وبهذا يثبت التفاوتُ بينهما؛ لأنّ التشابه

(٧) لسان العرب

(٨) تفسير سمين الحلبي

(٩) تأويلات أهل السنة

لا يكون إلا بين المختلفين. كقولك: "نارنجة تشبه يوسف" ولا يقال: "نارنجة تشبه نارنجة"؛ لأن ذلك محالٌ ولا معنى له، كما في تعريف الكلام: "الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع" (١٠). فكذلك اللفظ في الآية المتشابهة يشبه لفظاً في آية أخرى لكن معناه مختلف. وإذا وُصِفَ الله في المتشابهات بألفاظٍ تُوصَفُ بها المخلوقات، فمعناها يختلف عن معناها في المخلوقات.

وخلاصة معنى "المتشابه" كما قال أبو الليث السمرقندي: "المتشابه: الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ والمعنى مختلف". ا هـ (١١). هكذا قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري، رحمه الله: "و أمّا قوله "متشابهات" فإن معناه: متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعنى، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ {البقرة ٢٥} يعني في النظر، مختلفاً في المطعم، وكما قال مخبراً عن من أخبر عنه من بني إسرائيل أنه قال: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا﴾ {البقرة ٧٠} يعنون بذلك: تشابه علينا في الصفة، و إن اختلفت أنواعه". ا هـ (١٢). فإذا قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

(١٠) متن الأجرومية

(١١) بحر العلوم، ص ٢٤٦

(١٢) تفسير الطبري

﴿وَمَا يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فَإِنَّ كُلَّ وَصْفٍ يُوصَفُ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ يَكُونُ مُتَشَابِهًا، أَي: معناه يَكُونُ خِلَافًا لِلْمَعْنَى الَّذِي يُوصَفُ بِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ. وَهَذَا التَّفْسِيرُ لِكَلِمَةِ "مُتَشَابِهٌ" مَأْخُوذٌ مِنَ الْقُرْآنِ نَفْسِهِ، وَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ أَقْوَى مَا يَكُونُ.

العقل: كما ذكرنا سابقًا، ليس للذات الأزالية حدٌّ؛ إذَّ العدمُ خارجُ حدودِ المحدودِ غيرُ موجودٍ لِسَبْقِ وجودِهِ، لأنَّه موجودٌ. ولذلك لا صورةَ له، ولا شكل، ولا تمكُّن، ولا إحاطةً بالجهاتِ الستِ؛ لأنَّ الحدَّ هو شكلٌ خارجيٌّ للمحتويات في الذات. والصورةُ تُبنى على حدودٍ وأعماقِها وشمكِها وأطواها. وكذلك التمكنُ يُبنى ببُعْدٍ عن الحدودِ الأخرى، وكلُّ ذلك من شروط وجود المخلوقين.

وإنَّ لم يكن له حدٌّ، فلا يكون إلهًا في خارج حدوده. وإنَّ لم يكن له حدٌّ، امتنع كونه مُترَكِّبًا من إلهين أو أكثرٍ بحدِّ فاصلٍ بينهم. ولذلك لا يتكوَّن معدودًا، ولا مُتَبَعِّصًا، ولا مُتَجَزِّئًا، ولا مُترَكِّبًا. وإنَّ لم تكن له بدايةٌ، لم يَجْرِ عليه الزمانُ؛ لأنَّ الزمانَ يجري بعدم شيءٍ في لحظةٍ ماضيةٍ وبحدوثِهِ في لحظةٍ مستقبليةٍ، وهذا يسمَّى بِنَجْدِ الأمثالِ. ولِحَرَيَانِهِ فِي الزمانِ يَجِبُ أَنْ يَفْتَى وَيَحْدُثُ، وَالْفَنَاءُ وَالْحَدُوثُ وَسِطْنَا التَّخْلِيقِ. وَهَذِهِ أَدَلَّةٌ لَصِفَةِ "مُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ" مِنَ الصِّفَاتِ الْوَاجِبَةِ / ١١ /.

وإن لم يكن محدودًا، فلا يخرج عن علمه وقدرته شيء؛ لأنَّ الخروج عن العلم أو القدرة لا يكون إلاَّ بحدِّ يقتصر به العلم أو يتعد. وثبوتُ صفة العلم قائمٌ على دليل حدوثِ المحدود - الذي ذكرناه مرارًا في هذا الكتاب - لأنَّه تعالى يعلم: كلَّ ما هو واجبٌ لوجوده؛ وكلَّ ما هو مستحيلٌ لوجوده؛ وكلَّ ما هو جائزٌ لوجوده. فإنَّ لم يعلم شيئًا من ذلك، فهذا لا يمكن إلاَّ بحدِّ الذي يُقَصِّرُ شيئًا من علمه، وكما بيَّنا: كلُّ محدودٍ حادثٌ. وعلمه لا يزيد ولا ينقص ولا يتغيَّر؛ لأنَّ الزيادة أو النقصان أو التغيَّر لا تكون إلاَّ بتباعدٍ أو تقاربِ الحدود، وكلاهما من صفات المخلوق. وتغيُّرُ المخلوقات يُعَيِّرُ التعلُّقات بين علم الله والمخلوق، ولا يتغيَّر العلم ذاته لأنَّه غيرُ محدودٍ. هذا دليل لصفة "العلم" من الصفات الواجبة/١٢/.

ولها صفات أزلية قائمة بذاتها وهي لا هو، ولا غيره وجيبه الاستثنائي لأن:

النقل: قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ {الصفات: ١٥٩}. أشار الله أن صفاته مُقَدَّسَةٌ عن كلِّ عيبٍ، وهذا العيب من جنس الحدوث؛ لأنَّ كلَّ مخلوقٍ محدودٌ، والحدُّ هو نقصانٌ في الكمال.

وكما قال تعالى في أزلية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ {الحديد: ٣}، فأثبت
لنفسه هاتين الصفتين الأزليتين.

العقل: كما ذكرنا: لو كان الله غير مخلوق، وجب أن يكون بلا
بداية. فهذا يثبت له وجودًا بلا حدّ. فإن لم يكن له حدّ، تكون ذاته غير
محدودة. وتعدّد الصفات في ذات غير محدودة يكون بانتفاء الحدود؛
لذلك: ليس عَجْرًا له، لأنّ العَجْر هو حدّ في القدرة، فيثبت له القدرة
المطلقة. ولا جَهْلًا له، لأنّ الجهل هو حدّ في العلم، فيثبت له العلم
المطلق. ولا عَمَى له، لأنّ العمى حدّ في البصر، فيثبت له البصر المطلق.
وكذا سائر الصفات الثبوتية.

وهذه الصفات ليست موجودة بذوات منفردة؛ لأنّ وجود ذوات
منفردة لا يمكن إلا بحدّ بينها. فإن لم يكن هنّ حدّ، تكون كلّ الصفات
قائمة بذات واحدة غير محدودة، أي: ذات الله تعالى. فمن ذلك الصفات
ليست عين ذات الله ولا غيرها.

وهي العلم والقدرة والحياة والقوة والسمع والبصر و الإرادة والمشية والفعل والتخليق والترزيق

جِجَمُ الْإِسْبَلِكِ لِإِل:

النقل: لقد أوردنا الأدلة النقلية على صفات القدرة، والحياة، والسمع، والبصر، والإرادة، والمشية. و الأدلة على الصفات الباقية التالية: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ { ٦١ الأنفال }، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ { ٦٦ هود }، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ { ٤٠ آل عمران }، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ { ٤٧ آل عمران }، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ { ٥٨ الذاريات }.

العقل: أوردنا الأدلة العقلية على الصفات المذكورة سابقاً، ما عدا هذه الصفات، وهي مُسْتَبَدَّةٌ إلى دليلِ حدوثِ المحدود. ويجب أن نعلم أن صفات الله تنقسم إلى ثلاثة أقسام: **التَّفْسِيَّةُ** - الوجود والبقاء^(١٣). سُمِّيَتْ

(١٣) والصحيح أن البقاء هو استمرار الوجود وليس زائداً على الذات بمعنى الصفة الزائدة. كما قاله الماتريدي في تفسيره، وصدر الشريعة في تعديله، والآقشهري في الانتقاد، والسعد في شرحه وغير واحد.

نَفْسِيَّةٌ لِأَنَّهَا تَصِفُ وَجُودَهُ تَعَالَى. **السَّلْبِيَّةُ** - مُخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ، الْقِدَمُ،
 الْوَحْدَانِيَّةُ، الْقِيَامُ بِنَفْسِهِ. سُمِّيَتْ سَلْبِيَّةً لِأَنَّهَا تَنْفِي الْعُيُوبَ عَنْهُ تَعَالَى.
التُّبُوتِيَّةُ - الْعِلْمُ، الْقُدْرَةُ، الْإِرَادَةُ، الْحَيَاةُ، السَّمْعُ، الْبَصَرُ، الْكَلَامُ،
 التَّكْوِينُ. سُمِّيَتْ تُّبُوتِيَّةً لِأَنَّهَا مَعَ النَّفْيِ تُثَبِّتُ مَعَانِي، وَتُسَمَّى "مَعَانِيَّةً".

وقد أنكرتِ الْمُعْتَزِلَةُ الصِّفَاتِ التُّبُوتِيَّةَ خَوْفًا مِّنَ التَّعَدُّدِ، وَقَدْ بَيَّنَّا
 سَابِقًا بِطُلَانٍ خَوْفِهِمْ بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ. فَأَثْبَتُوا بَدَلًا عَنْهَا "الصِّفَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ"
 اللَّازِمَةَ لِصِفَاتِ الْمَعَانِي، كَقَوْلِهِمْ: "عَالِمٌ بِذَاتِهِ، قَادِرٌ بِذَاتِهِ". وَهَذَا غَلَطٌ؛
 لِأَنَّ إِثْبَاتَ كَوْنِ الذَّاتِ الْوَاحِدَةِ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ عِلْمًا وَقُدْرَةً يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ
 يَكُونَ الْعِلْمُ هُوَ الْقُدْرَةُ، وَهَذَا مُحَالٌ؛ لِأَنَّ مَعْنَى الْعِلْمِ غَيْرُ مَعْنَى الْقُدْرَةِ.

وَالكَلَامُ وَهُوَ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ هُوَ صِفَةٌ أَزَلِيَّةٌ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ
 الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ وَهِيَ مَنَافِيَةٌ لِلسَّكُوتِ وَالْآفَةِ وَاللَّهْ
 تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ بِهَا آمَرَ نَاهِيٌّ مُخْبِرٌ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى
 غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي مَصَاحِفِنَا مَحْفُوظٌ بِقُلُوبِنَا مَقْرُوءٌ
 بِالسَّنَنِ مَسْمُوعٌ بِأَنْذَانِنَا غَيْرُ حَالٍ فِيهَا

وَجِبَةُ الْإِسْتِثْنَاءِ لَا:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ {النساء: ١٦٤}، وقال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ {التوبة: ٦}. أثبت الله أنه مُتَّصِفٌ بِصِفَةِ الْكَلَامِ، وَمُتَّكِلٌ بِهَا. وَقَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ {الشورى: ١١}، فيجب أن يكون كلامه مُخَالِفًا لكلام المخلوقات. وهذه الآية تنفي عن كلامه: الانقطاع، والصوت، والحروف، وكل ما هو من جنس الحوادث. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ {سأصليه سقر} {المدثر: ٢٥-٢٦} يدل على أن القرآن ليس من كلام البشر، ومع أنه مُرَكَّبٌ من حروفٍ وكلماتٍ وأصواتٍ في وحيه المنزل، فهذه الصورُ الحادثةُ مخلوقةٌ، أما الأزيُّ فغيرُ مخلوقٍ.

الوجود القرآني أربعة أنواع: وجودٌ عينيٌّ، وهو صفة كلام الله القائم به - أزيٌّ، غيرُ مخلوقٍ. وجودٌ ذهنيٌّ، وهو فهم العبد له - مخلوقٌ. وجودٌ عياريٌّ، وهو نطق العبد به - مخلوقٌ. وجودٌ كتابيٌّ، وهو كتابته في المصاحف - مخلوقٌ.

العقل: لو لم يكن الله متكلمًا لكان أبكم، والبكم حدٌ في الكمال. وكما سبق: كلُّ محدودٍ حادثٌ، فلو كان غيرَ مخلوقٍ وجب أن يكون كلامه: غيرَ محدودٍ، بلا انقطاع، بلا حرفٍ، بلا صوتٍ، ولا يتغيَّر. وبِعِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي يَحْوِي الْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ وَالْجَائِزَاتِ، عَلِمَ اللَّهُ فِي

الأزلي لغات البشر، فَتَظَمَ الْقُرْآنَ بهذا العلمِ عن اللغاتِ، فنَظَّمَهُ نَظْمًا عربيًّا أَنْزَلَ على رسوله صلى الله عليه وسلم. فلَمَّا أُحْدِثَ الوحيُّ في العالمِ بصورةِ الأصواتِ والحروفِ كَانَ تعبيرًا عن مَعْنَى الكلامِ الأزليِّ، فَمِنَ ذلك: الأزليُّ لا يُوجَدُ في الحادثِ. والحادثُ: الصورةُ دالٌّ على الأزليِّ. وهذا دليلٌ لصفة "الكلام" من الصفات الواجبة /١٣/. و كلامه متعلق بجائز، وواجب، ومستحيل.

والتكوين صفة لله تعالى أزلية وهو تكوين للعالم ولكل جزء منه لوقت وجوده وهو غير المكمون عندنا
وجيبه الاستثنائي لـ:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ {البقرة: ١١٧}. جاءت كلمة "كُنْ" دالَّةً على صفة التكوين، وقد وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ بها حيث يُحْدِثُ المخلوقاتِ. وكما سبق: هو مُخَالِفٌ لِمَخْلُوقَاتِهِ، فـ"كُنْ" ليست حرفًا زمنيًّا، بل مجازٌ من المتشابهات، وكلُّ أمرٍ في الكونِ يحدثُ بهذا التكوينِ الأزليِّ. وهذه الصِّفَةُ ثَابِتَةٌ لَهُ تَعَالَى فِي الْأَزَلِ، لِأَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِكَلَامٍ أَزَلِيٍّ.

العقل: لإحداث المخلوقات يجب أن تكون صفة خاصة للإحداث، لأنه لو لم تكن صفة التكوين لإحداث الأشياء، لَلَزِمَ أحدُ أمرين باطلين: خَلَقُ بعضها بعضًا تسلسلاً أو دورًا، وقد بَطُلَ كما سبق. أو أزلية المخلوقات، فهذا محال أيضًا، لأنَّ تعدُّد الأشياءِ يستلزم حدودًا فاصلةً، والمحدودُ حادثٌ. لأنَّ محدود غير موجود خارج حدوده بسبقية عدمه لأنَّه موجودٌ. ومن ذلك أثبتنا أنَّ كل معدودٍ حادثٌ فوجودُ صفةِ التكوينِ الأزليةِ ضروريٌّ.

طريقةُ الإحداثِ تجري في الأوقاتِ المنفردة؛ لأنَّ عدمَ تأثيرِ الصفاتِ الأزليةِ في أوقاتِ الزمانِ المنفردة يُلْزِمُ أزليةَ العالمِ بتأثيرِ الصفاتِ الأزليةِ. ولذلك لا بدُّ من أحدِ الاحتمالين: حدوثُ صفاته عند التخليق وهذا محالٌ، لأنَّ الإحداثَ لا يقعُ إلا في حادثٍ محدودٍ بطريقِ زيادةٍ للحدِّ، ولكن الأزليُّ غيرُ محدودٍ. أو أزليةُ جميعِ صفاته وهو الصواب، ومنها صفةٌ تحدثُ في أوقاتِ الزمانِ.

وقدَّمَ التكوينِ لا يلزمُ منه قِدَمُ المكوِّن، بل يجب أن يكون وجودُ المخلوقِ عَقِبَ التكوينِ، كما يجب أن تكون تابعةً عَقِبَ سببها. وزمانُ إحداثه غيرُ مرتبطٍ بزمنِ وجودِ الصفةِ، لأنَّ مُحَدَّثٌ يُحَدِّدُ عن الصفةِ بسبقيةِ

عدمه. هذه الصفة متعلقة بجميع الجائزات. و هذا دليل لصفة "التكوين"
من الصفات الواجبة /١٤/.

ولقد أوردنا كلّ الصفات الواجبة مع الأدلّة العقلية لتثبيت
الاعتقاد بالاستدلال. وكذلك واجب معرفة الصفات المعنوية الملازمة
للسبع المعاني: القدير، المرید، العليم، الحي، السميع،
البصير، المتكلم، المكوّن.

والإرادة لله تعالى أزلية قائمة بذاته

وجه الاستدلال:

لقد أوردنا الأدلة النقلية و العقلية لإثبات صفة الإرادة.

ورؤية الله تعالى جائزة في العقل واجبة بالنقل ورد الدليل
السمعي بإيجاب رؤية المؤمن لله تعالى في الدار
الآخرة فيرى لاني مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال
شعاع أو ثبوت مسافة بين الراي وبينه تعالى

وجه الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ {القيامة: ٢٢-٢٣}. أشار الله إلى أنَّ آله النظر تتمكّن في وجوه الناس، وفي وجوه الناس لا توجد آله النظر إلا العينان. فظهر أنَّ الله مرئي لعيون الناس. على قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ {الشورى: ١١} فَرُؤِيَةُ اللَّهِ لن تكون كرؤية المخلوقات بصورةٍ أو في مكانٍ، فيرى لا كالمخلوقات. قال الله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ فِيهَا﴾ {الأعراف: ١٤٣}؛ فلا يستطيع أحدٌ من المخلوقين أن ينظر إلى الله في الدنيا. وكما قالت أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها: "مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ {الأنعام: ١٠٣}" {صحيح البخاري: ٧٣٨٠}.

العقل: كلُّ موجودٍ يمكن أن يتصل بسائر الموجودات لاشتراكها في الوجود. وعدم إمكان الاتصال بشيءٍ آخر يكون لوجود حدٍّ بينهما. وكلُّ مُحدَثٍ محدودٌ في جهاتِهِ الوجودية، كالبصر وغيره، فيكون بصره عاجزًا عن إدراك اللامحدود، أي: الله. الإنسان مخلوقٌ لهذا العالم، فبصره مخلوقٌ لهذا العالم أيضًا، ومتصلٌ بسائر المخلوقات وفقًا لهذه القواعد الوجودية. فإذا أراد أن يدرك ما وراء عالم المخلوقات، يعجز بصره عن

ذلك على شرط التلازم العادي. وعدمُ مُشاهدةِ الله الآن في جهاتٍ مُقابلةٍ بالحواس الخمس هو مُشاهدةُ وجودِهِ التَنزيهي الثَّابِتةِ بالحواس. أما في الآخرة: فيخلقُ اللهُ للإنسان خَلْقًا جديدًا، ويُهَيِّئُ لَبَصَرَهُ إمكانيةً رؤيةِ اللهِ الذي يختلف وجودُهُ عن وجود المخلوقين.

والله تعالى خالق كل أفعال العبد من الكفر والإيمان و الطاعة والعصيان وهي كلها بمشيئته وإرادته وحكمه و

قضائمه وتقديره

بِحججنا الإسندي للإل:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ {الصافات: ٩٦}. يُخْبِرُ اللهُ أَنَّهُ خَلَقَ النَّاسَ وَيَخْلُقُ أَعْمَالَهُمُ الْحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ {البقرة: ٢٥٥}. عِلْمُ اللهِ الْأَزَلِيُّ شَمِلَ ما سيختاره العبد، وأراد اللهُ بقضائه أَنْ يَخْلُقَ هذا الاختيار، كما قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ {الأحزاب: ٣٨}.

العقل: كلُّ حادثٍ في العالم إما أَنْ يكون مخلوقًا لنفسه أو مخلوقًا لغيره. بالنسبة إلى استحالة خلقِ الشيء لنفسه: فلائِ الْمَعْدُومِ غيرُ موجودٍ،

وتأثيره غير موجود أيضاً، فلا يخلق نفسه، فينتج أن كل حادث مخلوق
 لغيره. وجود المخلوقات يتجدد في الزمان: يفنى في اللحظة الماضية،
 ويحدث في اللحظة القادمة. ولا بد لكل تغيير في العالم، حتى أفعال العباد،
 من تحديث خارج عن سلسلة المخلوقات، وهو خالق العالم.

وللعباد أفعال اختيارية يسابون عليها ويعاقبون عليها و
 الحسن منها برضا الله تعالى وإيقح منها ليس برضاه

في حجة الإسناد للإمام:

النقل: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾
 {النساء: ١١١}. وقال: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ {الأنعام:
 ١٦٤}. وقال: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ {الطور: ٢١}. وقال:
 ﴿وَلَكِنْ يُوَاحِدُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوبُكُمْ﴾ {البقرة: ٢٢٥}. وقال: ﴿إِنَّ
 هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ {المزمل: ١٩}. وقال: ﴿فَمَنْ
 شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ {الكهف: ٢٩}. الآيات تثبت اختيار
 العبد في أفعاله.

العقل: ١. نقد مذهب الجبرية: زعمت الجبرية أن العبد مجبور بلا
 اختيار، وأن الله يخلق فعل العبد واختياره دون مشاركة منه. مثلوا لذلك:

بأنَّ أفعالَ العبدِ كالصلاةِ والشربِ هي كضرباتِ القلبِ^(١٤)؛ جميعها مخلوقةٌ لله دون إرادةٍ للعبدِ. لو صحَّ هذا، لَبَطَلَ الثوابُ والعقابُ، وإرسالُ الرُّسلِ؛ لأنَّ الثوابَ والعقابَ يلزمان فاعلَ الفعلِ باختياره. لو كان العبدُ مجبوراً لكان تعذيبه ظلماً، والظلمُ محالٌ على الله؛ لأنَّ الظالمَ يُريدُ فِعْلَ شَيْءٍ وَرَاءَ حَدِّ قُدْرَتِهِ، فَلِذَا يَفْعَلُهُ بِكَسْرِ سَلْسِلَةِ السَّبَبِيَّةِ^(١٥)، والظالمُ حادثٌ، لأنَّ كلَّ مُتجاوزٍ للسببية محدودٌ، واللهُ منزَّهٌ عن الحدوثِ.

٢. نقد مذهب القَدَرِيَّة: زَعَمَتِ القَدَرِيَّةُ أَنَّ العبدَ مستقلٌّ بِخَلْقِ أفعالِهِ، لأنَّه يملك قوَّةً مستقلةً التي تستند في وجودها على وجود العبد؛ يسمون ذلك: توليداً. ولكن كلُّ حادثٍ في الزمان كأفعال العباد يجري بفنائه في اللحظة الماضية، وحدوثه في اللحظة القابلة. هذا التجذُّدُ يَسْتَلزِمُ مُحَدَّثاً خارجاً عن سلسلة المخلوقات، وهو الله. دليلُ عِلْمِ اللهِ الأزليِّ: لو استقل العبدُ بفعله لَخَالَفَ عِلْمَ اللهِ الأزليِّ. مثال: إنَّ عِلْمَ اللهِ أنَّ زيداً سيقوم وقتَ الظهر، فجلس زيدٌ بدل القيام، لكان علمُ الله خطأً. الجهلُ محالٌ على الله، لأنَّ الجهلُ هو حدٌّ في العلم، وكلُّ محدودٍ حادثٌ.

(١٤) لا فرق بين أفعال اختيارية وأفعال اضطرارية عندهم.

(١٥) "الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وهو كَسْرُ للنظام". ينظر: التعريفات للجرجاني: ص ١٣٧.

٣ . الرأي الوسط، وهو أهل السنة: العلم نوعان: ضروري - يخلقه الله في العبد بلا قصدٍ واختيارٍ، كبديهيات العقل. واكتسابي - ينشأ من ترجيح العقل بين المعلومات الضرورية التي توجد في ذهن العبد دائماً.

وَيَصْدُرُ الاختيارُ بطريقِ خَلْقِ اللهِ فِي العبدِ العِلْمِ الصَّرُورِيِّ، كما تَقَدَّمنا؛ والقُدْرَةُ على التَّرْجِيحِ، أي: الإِرَادَةُ المُسْتَبِدَّةَ على اللهِ فِي وُجُودِهَا، إِذْ كُلُّ المُمَكِّنَاتِ مَوْجُودٌ بِتَخْلِيْقِ اللهِ، والعبدُ يُرَجِّحُ بِهَا كَالَّةٍ بَيْنَ المُعْلُومَاتِ الصَّرُورِيَّةِ؛ ثم يخلقُ اللهُ العِلْمَ الاكْتِسَابِيَّ الجَدِيدَ. فمن ذلك: اللهُ خَالِقُ للعلمِ الصَّرُورِيِّ والاكْتِسَابِيَّ، وخالقُ قُدْرَةِ التَّرْجِيحِ، وخالقُ الفِعْلِ؛ ولكن العبدُ يَخْتارُ الفِعْلَ بالاختيارِ الإرادي دون استقلالٍ عن إِرَادَةِ اللهِ.

كما قال عبد الحكيم السبكي، رحمه الله، في "زبدة الأفكار":
"وَالْحَاصِلُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ فِي العَبْدِ عِلْمًا إِجْمَالِيًّا بِالأَفْعَالِ الاِخْتِيَارِيَّةِ قَبْلَ صُدُورِهَا، وَعِلْمًا مُجَسِّنِيًّا وَقُبْحِيًّا وَتَرْتِيبِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَيْهِمَا مَأْخُودٌ مِنْ لِسَانِ الشَّارِعِ، وَخَلَقَ فِيهِ إِرَادَةً تَابِعَةً لِذَلِكَ العِلْمِ مُرَجِّحَةً لِبَعْضِهَا، وَقُدْرَةً مُتَعَلِّقَةً بِالفِعْلِ تَابِعَةً لِتِلْكَ الإِرَادَةِ، بِحَيْثُ لَوْ كَانَتْ مُسْتَقَلَّةً فِي الإِيجَادِ لَأَوْجَدْتُهُ"^(١٦).

(١٦) زبدة الأفكار للسبكي

والاستطاعة مع الفعل وهي حقيقة القدرة التي يكون بها
 الفعل ويقع هذا الإسم على سلامة الأسباب والآلات
 والجوارح، وصحة التكليف تعتمد على الاستطاعة ولا يكف
 العبد ما ليس في وسعه، وما يوجد من الألم في المضروب
 عقيب ضرب إنسان والإنكسار في الزجاج عقيب كسر
 إنسان وما أشبهه كل ذلك مخلوق لله لا صنع للعبد فيه
في حجة الإسنين لابن:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ {الصافات:
 ٩٦}. وقال الله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ {البقرة: ٢٨٦}.
 تفسير الأدلة: أشار الله أنّ فعل العبد هو خلق الله، وخلق الفعل يجب أن
 تكون هناك استطاعة للتخليق، فإن لم توجد الاستطاعة فلن يخلق فعلاً.
 وظهر أنّ استطاعة الفعل هي قدرة التخليق التي بواسطتها يحدث الفعل
 من عدم إلى الوجود. وهذه الاستطاعة موجودة في الخالق دائماً لأنّه
 تعالى يخلق جزيئات الكائنات في الزمان بطريق حدوثها في اللحظة الأولى
 وبفنائها في اللحظة الثانية. فإن هي، أي القدرة، موجودة في الخالق فهي

غير موجودة في العبد، لأنه يجري في الزمان بواسطة الفناء والحدوث،
اللذين هما أصلاً من مخلوقات الله، ولذلك لم تكن الاستطاعة في العبد،
بل تحدث فيه لحدوث عمله.

ثم، الاستطاعة على نوعين: النوع الأول: المذكورة سابقاً، وهي خلقُ
الله من جنس التوفيق أو الخِذلان. النوع الثاني: من جنس سلامة
الأسباب، كصحة الجوارح. فيعتمد التكليف على سلامة وصحة الجوارح:
فإن لم تكن للعبد رجلين فلا يُكَلَّفُ بالقيام في الصلاة مثلاً، وكذلك في
سائر مسائل التكليف. والظاهر من الآية الثانية من أدلتنا النقلية أنّ
التكليف يعتمد على وجود سببٍ من صحة الجوارح. وبالعكس: فإن لم
تكن في العبد جارحةً فلا يُكَلَّفُ العبد بالتكليف المتعلق بهذه الجارحة
المعدومة. وهذا كله ردٌّ للمعتزلة الذين زعموا بتوليد الأفعال الذي يُتصور
بوجود الاستطاعة الدائمة في العبد، التي تستند في وجودها على العبد.
وهذا يخالف ما ذكر الله في القرآن، ومخالف للعقل السليم على ما ذكرنا.
العقل: كلُّ مُحدِّث يحدثُ إمَّا بنفسِهِ وإمَّا بغيرِهِ. فأما حدوثه بنفسه
فهو مُحال؛ لأنَّه معدومٌ، وتأثيره كذلك معدومٌ. وأما حدوثه بغيره فهو
صحيح. أمَّا حدوث فعل العبد فهو يحدث بغيره؛ لأنَّ العبدَ محدودٌ، وكل
محدودٍ حادثٌ، وحدثه يحتاج إلى المُحدِّث الذي ليس هو؛ لأنَّه معدومٌ.

فإنَّ العبد وعمله مُحدَثان، ويجريان في الزمان، فلا يجري انتقالهما من الماضي إلى الحاضر إلاَّ بفنائهما في اللحظة الماضية، ومحدوثهما في اللحظة القابلة. فيجب أن يكون هنالك خالقٌ لهذا الانتقال. وهذا الخالق ليس عبدًا؛ لأنَّه معدومٌ حينما ينتقل. فظهر أنَّ حدوثَ فعلِ العبد لا يكون بخلقِ العبد، وبالضرورة: يكون بخلقِ الخالق. فإنَّ حَدَثَ فعلِ العبدِ، فلا يحدثُ إلاَّ بحدوثِ الاستطاعةِ معه. وظهر أنَّ الاستطاعةَ تحدثُ في العبد مع حدوثِ فعلِهِ. والتكليف يعتمِدُ على وجودِ الآلات، وهي كالسبب الذي بواسطته تحدثُ الاستطاعة والفعل نفسه. فإنَّ لم يكن سببًا فلن تكون تابعةً.

والمقتول ميت بأجله والأجل واحد والحرام رزق وكل
يستوفي رزق نفسه حلالاً كان أو حراماً ولا يتصور أن لا يأكل
إنسان رزقه أو أن يأكل غيره رزقه واللّه يضل من
يشاء ويهدي من يشاء وما هو إلاَّ صلح للعبد فليس ذلك
بواجب لله على الله تعالى

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً﴾ {الأعراف ٣٤}، ظهر من هذه الآية أنّ الأجل واحدٌ ولا يتغيّر بشيءٍ. قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾ {المائدة ٨٨}، ظهر من هذه الآية أنّ الرزقَ على نوعين: أحدهما حلالٌ وثانيهما حرامٌ؛ فالله أباَحَ الحلالَ فقط، مع وجودِ ضِدِّهِ. وفيه ردٌّ للمعتزلة الذين زعموا بأنّ الحرامَ ليس رزقًا؛ بل نشاهد أنّ الحرامَ رزقٌ كذلك، ولكن يأكل الحلالَ فقط، لأنّ في ذكرِ الرزقِ أَحْصَى اللهُ رزقًا بالحلالِ فيجب من هذا التخصيص للرزقِ وجودُ ضِدِّهِ. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ {هود ٦}، قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ {الرعد ٢٧}، قال الله: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ {البقرة ٢١٣}.

العقل: مخالفة هذه القاعدة تؤدّي إلى إبطال عِلْمِ اللهِ. الموت والرزق والإضلال وتضادهم كلهم يحدث، وكل محدث يحدث بتحديث المحدث، والحديث هو تابع الاختيار. وظهر أنّ كلّ ما يحدث هو خلقُ اللهِ باختياره. إذ الاختيار يستند على عِلْمِ اللهِ، لأنّ العِلْمَ هو مقدّمةُ التخليق، إذ التخليق هو الانتقال من وجود ذهني إلى وجود مادي. وكما ذكرنا

سابقاً أنَّ عَلِمَ اللهُ في الأزل ما أراد أن يخلق ثم حَلَقَهُ، فإنَّ الخالق - هو الله، فليس أحداً يكون خالقاً مع الله لتأخير الأجل أو للترزيق بالحرام أو لإضلال نفسه: كل ذلك لا يحدث إلاَّ بِحَلْقِ اللهِ. وتأخير أو تقريب الأجل ينسب الجهلَ على الله، لأنَّ إن قَدَرَ اللهُ في الأزل أنَّ فلاناً يجلس وفلانٌ غيرَ قَدَرَ اللهُ وقامَ فيكون اللهُ جاهلاً بنهاية الأمر. والجهلُ هو أمانة الحدوثِ، لأنَّه حدٌّ في العلمِ، ومستحيل على الله. كلام المؤلف هو ردُّ لبعض أقوال المعتزلة الذين زعموا بتوليد أفعال العباد وأثبتوا على الله وجوب خلقِ ما أصلح للعباد. ومفهوم أنَّ هذا غلط، لأنَّه لو كان رأيهم صحيحاً فتكونَ نعمةٌ محمدٍ متساويةً لنعمةِ أبي لهبٍ. والحق ليس كذلك.

وعذاب القبر للكافرين ولبعض عصاة المؤمنين و تنعيم
 اهل الطاعة في القبر وسؤال منكر ونكير ثابت بالدلائل
 السمعية والبعث حق والوزن حق والكتاب حق والسؤال
 حق والحوض حق والصراط حق والنار حق والجنة حق وهما
 مخلوقتان وموجودتان باقيتان لا تنفیان ولا يَفنى أهلُهما

رَاضِيَةٌ {٧} وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ {٨} فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿١﴾ {القارعة ٦-
٩}، أثبتت هذه الآيات وزن الأعمال. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
بِيمِينِهِ {٧} فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا {٨} وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ
مَسْرُورًا {٩} وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ {١٠} فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا
{١١} وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ {الإنسقاق ٧-١٢}، أثبتت هذه الآيات كتابة
الأعمال. قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ أَلَّنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾
{العنكبوت ١٣}، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ {البقرة ٢٨٤}. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ
الْكُوثَرَ﴾ {١ الكوثر}، معلوم أنّ الكوثر اسم لحوض النبي صلى الله عليه
وسلم كما أشار في حديثه عن أبي ذرّ، رضي الله عنه، قال: قلت يا
رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفسي بيده لأنيته أكثر من عدد
نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب
منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة [من نهر
الكوثر] من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله ما بين عثمان إلى أبيه،
ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. {صحيح مسلم ٢٣٠٠}.
عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: قال النبي صلى الله عليه
وسلم: "حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٌ وَرَوَايَاهُ سِوَاهُ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ

أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكَيْزَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا
 {صحيح البخاري ٦٠٩٣، صحيح مسلم ٤٢٤٤}. تبلغ الأحاديث
 عن الحوض إلى درجة المتواتر، كما قال ابن حجر، رحمه الله. أمّا في
 الصراط، فقال تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ {الصفات ٢٣}.
 قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ {البقرة ٨٢}، أشار الله على بقاء الجنة بكلمة
 "خالدون" يعني يبقون فيها. و قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ {البينة ٦}، و هنا
 كذلك كلمة "خالدين" يعني يبقون في نار جهنم. فإن أهلها
 يبقون فيها، فتبقى الجنة و النار كذلك. فمن أنكر بقاء النار بتأويل
 فاسد لكلمة "خُلِدَ"، فينكر بقاء الجنة أيضًا، لأنّ وصف الله بقاء الجنة
 بنفس الكلمة. أمّا وجودها الآن فقال الله: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
 لِلْكَافِرِينَ﴾ {آل عمران ١٣١}، و قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّنْ
 رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ {آل عمران
 ١٣٣}، و ظهر أن كلمة "أُعِدَّتْ" هي فعل ماضي، و لذلك كلاهما
 موجودتان. هذه كلمات المؤلف عن بقاء الجنة و النار ردّ للجهمية الذين
 زعموا بفنائهما، و استدلوا بالآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ {الحديد ٣}،

بل هو آخر لكل ما حدث في هذا العالم، لأن كل ما حدث سيفنى، كما قال الله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ {٦} وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ {الرحمن ٦-٧}، و لكن: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ {٧ الحج}، سيخلق الله الناس بخلق جديد في يوم القيامة، فلذلك اسم "آخر" سينفذ قبل يوم القيامة.

العقل: تثبت السمعيات، أي: المغيبات الشرعية، على ثبوت بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن أصل السمعيات من خلق الله الذي هو من باب الجائزات العقلية. ولا توجد قواعد وجودية تُدرَكُ بالنظر العقلي المحض لاستحالة إثباتها بغير الوحي، إلا أن وجودها جائز عقلاً. فإذا كان وجودها جائزاً، فهو متعلق باختيار الخالق. وإعلان ما اختاره الله للتخليق، ماضياً أو مستقبلاً، لا يُعرف إلا بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عبر الوحي. ولهذا لا طريق لثبوت السمعيات إلا بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أشار إليه صاحب البداية، رحمه الله.

والكبيرة لا تخرج العبد المؤمن من الإيمان ولا تدخله في الكفر واللّه لا يعفر الشرك ويعفر ما دون ذلك لمن يشاء

من الكبار والصغار وتجاوز العقاب على الصغيرة والعضو
 عن الكبيرة إذا لم يكن عن استحلال والإستحلال كفر و
 الشفاعة ثابتة للرسول والأخيار في حق اهل الكبار
 بالمستفيض من الآخبار واهل الكبار من المؤمن لا
 يُخَدون في النار والإيمان هو التصديق بما جاء من عند
 الله تعالى والإقرار به فأما الأعمال فهي طاعات فهي
 تتزايد في نفسها والإيمان لا يزيد ولا ينقص والإيمان و
 الإسلام واحد وإذا صح للعبد التصديق والإقرار صح له أن
 يقول أنا مؤمن حقاً ولا ينبغي له أن يقول أنا مؤمن إن
 شاء الله

وجميع الاستدلالات:

النقل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ {النساء ٤٨}، ظهر أن الله يغفر كل ذنبٍ سواهُ
 كان كبيراً أو صغيراً إلا الشرك به والكفر. وأشار الله بلفظ "الشرك" لأنه

لو أشار بكلمة "الكفر" فَحَسَبُ لم يَدْخُلْ فيه المِشْرُكُونَ الَّذِينَ لا يَكْفُرُونَ باللهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً، بل يُثْبِتُونَ وجودَهُ مع إثباتهم شركاء له. فلذلك أشار الله بكلمة "شِرْكٌ" لتحتوي معنى الكُفْرِ والشِّرْكِ وكلَّ ما يبطلُ الاعتقادَ الصَّحِيحَ. ولهذا فإنَّ الذُّنُوبَ الكَبِيرَةَ والصَّغِيرَةَ لا تُخْرِجُ المِسلِمَ مِنَ الإِيمانِ، ومرتكبُ الكَبِيرَةِ مُؤمِنٌ، كما قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ {التحریم ٨}، مفهوم أن التوبة توجب لمن عمل ذنبًا، و هو في هذا الحال مؤمنٌ كما أشار الله. استحلال المعصية كفر كما جاء في القرآن: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ {المائدة ٤٤}، أي: من لا يعتقد بما أنزل الله. الشفاعة حق، كما قال الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ {محمد ١٩}، و روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" {صحح هذه الرواية الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريجه لصحيح ابن حبان ٣٨٦/١٤ برقم ٦٤٦٧}. و قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ {الأنبياء ٢٨}. و المؤمنون لا يخلدون في النار أبدًا، لأن كما ذكرنا سابقًا، فمن مات مؤمنًا فمغفرة الله جائزة له على كل ذنوبه، كما جاء في الأحاديث: عن أنس بن مالك، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " قَالَ اللَّهُ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي

وَرَجَوْتَنِي عَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ
دُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَعْفَرْتَنِي عَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ
لَوْ أَتَيْتَنِي بِرُطَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لِأَتَيْتُكَ بِفُرَايِمَا
مَعْفِرَةً " {الترمذي ٣٥٤٠ حديث حسن} . و قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صريحًا: عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَخْرُجُ مِنَ
النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ شَعِيرَةٌ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ
مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ ذَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزُنْ ذَرَّةٌ مِنْ خَيْرٍ {صحيح البخاري ٤٤ ، صحيح
مسلم ١٩٣} . و الإيمان عند الله هو التصديق في القلب، كما قال
الماتريدي رحمه الله: "الإيمان في الحقيقة التصديق بالقلب و لكن لما كان
ما في القلب أمرًا باطنًا لا يمكن الوقوف عليه، جعل الشارع الإقرار دليلًا
عليه و شرطًا لإجراء الأحكام في الدنيا حتى لو صدق بقلبه و لم يقر
بلسانه يكون مؤمنًا عند الله، لأنه تعالى عالم بما في القلوب فيعلم
بتصديقه " (١٧) . و هذا في الآية: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾
{المجادلة ٢٢} ، ظهر أنّ الإيمان في القلب، أما الإقرار فهو دليل بما في

(١٧) شرح العقيدة الطحاوية للغزواني ص ١٢٣

القلب: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ
الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ {الحجرات ١٤}. الإيمان لا يزيد و لا ينقص، أشار
الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ {الكهف ١٠٧} و
ظهر فيه أن الأعمال تتزايد ولا تدخل في الإيمان، لأن الشرط (الإيمان)
ليس المشروط (العمل الصالح)، فلا يزيد الإيمان بزيادة الأعمال الصالحة.
أما الإيمان والإسلام واحد، فقد قال الله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ {٣٥} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ {الذاريات
٣٥-٣٦}، أي: لا إيمان بلا إسلام. فأما مؤمن حقًا، قال الله: ﴿أُولَئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ {الأنفال ٤}، و أما كافر حقًا: ﴿أُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ {النساء ١٥١}، فظهر أنّ الله أثبت الإيمان على
المؤمنين و أثبت الكفر على الكافرين، والشك فيه حرام، فإن قال قائل
"أنا مؤمن إن شاء الله" فيفهم منه الشك في إيمانه و هو حرام عند الله.

والسعيد قد يشقى والشقي قد يسعد والتغير يكون على
السعادة والشقاوة دون الإسعاد والإشقاء فهما من صفات

اللهم تعالى ولا تغير على الله تعالى ولا على صفاته

عن جَمْعِ الْإِسْمِئِيلِ لِأَبِي:

النقل: قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى {٥} وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى {٦} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى {٧} وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى {٨} وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى {٩} فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ {الليل ٥-١٠}، وفيه إشارة للسعادة و الشقاوة، و كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ {الشورى ١١}، لا تتغير صفات الله كما تتغير صفات المخلوقين. و جاء في الحديث الصحيح عند الطبراني لما قال أعرابي في حقِّ الله تعالى في دعاء: "وَلَا تُغَيِّرُهُ الْحَوَادِثُ" {المعجم الأوسط للطبراني ج ٩/ص ١٧٢/ح ٩٤٤٨}. وعلى هذا الكلام وَهَبَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب الحُسنِ ثنائه على الله. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: "رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ".

العقل: التغير يكون بتغير الحد، فإن لم يكن الحد فلن يكون التغير، لأنَّ التغير لا يكون إلا بالتقريب أو بالتباعد، و كلاهما زيادة في الوجود أو نقصان في الوجود. وزيادة الوجود لا تكون إلا بنقصان العدم، ونقصان الوجود لا يكون إلا بزيادة العدم، وبينهما حدٌّ، و كل محدودٍ حادثٌ كما ذكرنا سابقًا، فلذلك التغير لا يكون إلا في المخلوقات.

وإرسال الرسل حكمة. وقد أرسل الله رُسُلًا من البشر إلى البشر مبشرين ومنذرين ومبينين للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين وأيدهم بالمعجزات الناقضات للعادات وأول الأنبياء آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم. وقد روي بيان عددهم في بعض الأحاديث والأولى أن لا يقتصر على عدد في التسمية فقد قال تعالى: منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولا يؤمن في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم أو يخرج منهم من هو فيهم وكلهم كانوا مبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين وأفضل الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم

وَجِيهًا الْإِسْلَامَ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رُسُلًا﴾ {النحل ٣٦}، فيه إشارة إلى أَنَّ الله بَعَثَ رُسُلًا لِكُلِّ النَّاسِ. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ {التوبة ١٢٨}، واضحٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّ الرَّسُولَ مِنَ الْبَشَرِ إِلَى الْبَشَرِ. وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا

يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ {النساء} وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ {الإسراء ١٥}، ظَهَرَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ حِكْمَةَ إِزْسَالِ رَسُولٍ فِي إِقَامَةِ وَجُوبِ الْإِتِّبَاعِ لِلْحَقِّ بِمَا يُبَيِّنُونَهُ الرُّسُلَ، فَإِنْ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ رَسُولًا، فَيَكُونُ لِلنَّاسِ حُجَّةٌ لَجَهْلِهِمْ وَلِكُفْرِهِمْ، فَإِنْ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا لِكُلِّ النَّاسِ فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ حُجَّةٌ لَجَهْلِهِمْ وَلِكُفْرِهِمْ. وَبَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا لِكُلِّ النَّاسِ، يُبَيِّنُ لَهُمْ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَالْحَلَالَ وَالْحَرَامَ. وَحِكْمَةُ إِزْسَالِ رَسُولٍ مِنَ الْبَشَرِ فِي كَوْنِهِ مُؤَدِّجًا لِلْبَشَرِ فِي عَدَمِ تَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمُعْجَزَاتِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ {الإسراء ١}، وَكَذَا آيَةُ انْتِشَاقِ الْقَمَرِ الْمَذْكُورَةِ، وَرُويَ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَالْتَمَسَ الْوُضُوءَ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوُضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّأُوا مِنْهُ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ حَتَّى تَوَضَّأُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ" {صحيح البخاري ٣٥٧٣}، لَقَدْ صَارَ وَاضِحًا الْآنَ أَنَّ الْمُعْجَزَاتِ هُنَّ فِي أَصْلِهَا النَّاقِضَاتُ لِلْعَادَاتِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ

عِمْرَانَ ﴿ آل عمران ٣٣ ﴾، هذه الآية تُدَلُّ أَنَّ آدَمَ كَانَ كَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا. وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ {الأحزاب ٤٠}، أشار الله أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ نَبِيًّا وَلَا رَسُولًا بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ الرَّسُولَ أَحْصَى مِنَ النَّبِيِّ. قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْضُصْ عَلَيْكَ ﴾ {غافر ٧٨}، أشار الله بهذا الكلام أَنَّ الْعِلْمَ بِعَدَدِ الرُّسُلِ عِنْدَ اللَّهِ فَقَطْ، وَيَكْفِي لَنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا. وَأَمَّا الصِّدْقُ وَسَائِرُ الصِّفَاتِ كَالْأَمَانَةِ وَالتَّبْلِيغِ اللَّتَانِ هُمَا وَاجِبَتَانِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الصِّدْقِ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ {الأنعام ٣٣}، وهذه الآية أَفْصَحُ دَلِيلٍ لَصِدْقِ الرُّسُلِ، لِأَنَّ الْكُفَّارَ مَعَ إِنْكَارِهِمْ لَمْ يُكذِّبُوا صِدْقَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال تعالى فِي التَّبْلِيغِ: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ {النجم ٣}، وقال تعالى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ {الأعراف ٦٨}، وقال تعالى فِي الْأَمَانَةِ: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ {الشعراء ١٢٥}. ودليلُ فَضْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَائِرِ الرُّسُلِ فِي هَذَا: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَحْرَ" {صحيح ابن

ماجّة ٣٤٩٦ { فإذا كَانَ سَيِّدًا لِّكُلِّ بَنِي آدَمَ، وَمِنْهُمْ كُلُّ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، فَهُوَ سَيِّدٌ لِّكُلِّ رَسُولٍ وَنَبِيِّ. }

العقل: بما استدلنا سابقًا، يجب أن يكون واجبُ الوجودِ، هو خالقُ المخلوقات، وقد خُلِقَ البشر وسائر المخلوقات مع منحهم الاختيار بين البرِّ والشرِّ، والمعرفة والجهل، والإيمان والكفر؛ فكلفهم تكليفًا مُبْنِيًّا على هذا الاختيار. فإن تركهم بلا دليل ليس من جنس النتائج العقلية - حيث يصبح التفكير وتركه متساويين بسبب حُرِّيَّةِ الاختيار - يَنْبَغِي احتمالُ عيش الإنسان بلا تفكيرٍ. لذا يجب أن يكون لهم دليلٌ ضروريٌّ غيرُ معتمدٍ على الاستدلال العقليّ، وهو إرسالُ الرسل، فلم يُعَدَّ مُتَاحًا لهم احتمالُ تركِ التفكير بعد تبليغ دعوة الرسول. وهذه حكمةُ إرسالِ الرسل؛ ليكون اتباعُ ما يَبْنُوهُ واجبًا بطريقةٍ مكشوفةٍ عبر التحدي للكافرين. معرفة الله واجبةٌ عقليًّا - بالاستناد إلى ما سبق - لأنَّ وجوده واجبٌ يُستدلُّ عليه من قواعد وجود العالم المستندة إليه، فإدراكُ قوانين الوجود مُلَازِمٌ لإدراكِ واجب الوجود. إذن فالبشرُ العاقلُ يجبُ أن يدرك الله؛ لأنَّ العقلَ أداةُ الإدراك. أمّا المعجزاتُ فأدلَّتْهَا النقلية والعقلية مذكورةٌ سابقًا. ثم، يجب للأنبياء خمسُ صفات: الصدق، والأمانة، والعصمة، والتبليغُ، والفظانةُ.

فَالصِّدْقُ وَاجِبٌ لِأَنَّ الكَذِبَ عَلَى النَبِيِّ مُسْتَحِيلٌ؛ إِذْ لَوْ كَذَبَ
لَمْ يُؤَيِّدِهِ اللهُ بِالمُعْجَزَاتِ وَلَمْ يَخْتَرَهُ لِلنَّبُوَّةِ، وَإِلَّا لَرَمَّ أَنْ يَكُونَ اللهُ كَاذِبًا - وَهُوَ
مَحَالٌّ - فَهَذَا دَلِيلٌ لِلصِّفَةِ الأُولَى \ ١٨ .

وَالأَمَانَةُ وَاجِبَةٌ، لِأَنَّ الحَيَانَةَ مَعْصِيَةٌ، وَلَوْ ارْتَكَبَهَا النَّبِيُّ لَكَانَتْ
قُدُورَةً سَيِّئَةً يُفْتَدَى بِهَا، وَلَمَّا سَاعَ اللهُ تَرْكُ ذَلِكَ، وَهَذَا دَلِيلٌ لِلصِّفَةِ الثَّانِيَةِ
\ ٢٢ .

وَالعِصْمَةُ وَاجِبَةٌ لِمَا تَقَدَّمَ؛ لِأَنَّهَا تَحُولُ دُونَ اقْتِرَافِ المَعْاصِي الَّتِي
تُضِلُّ الأَتْبَاعَ، فَدَلِيلُهَا ثَابِتٌ \ ٣٢ .

والتَّبَلُّغُ وَاجِبٌ لِأَنَّ كَيْتِمَانَ بَعْضِ الحَقِّ كَذِبٌ، إِذْ الحَقُّ بِلَا جُزْئِهِ
يَصْبِحُ كَذِبًا، وَهَذَا دَلِيلٌ لِلصِّفَةِ الرَّابِعَةِ \ ٤٤ .

وَالفِطَانَةُ وَاجِبَةٌ لِأَنَّ البُلْدَ - وَهُوَ نَقْصُ العَقْلِ - يُؤَدِّي إِلَى
الخطأِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الكَذِبِ، وَاللَّهُ لَا يَخْتَارُ الكَاذِبَ لِلنَّبُوَّةِ، فَدَلِيلُ الصِّفَةِ
الخَامِسَةِ ثَابِتٌ \ ٥٥ .

وَيَجُوزُ لِلأنْبِيَاءِ كُلِّ أفعالِ البَشَرِ مَا لَمْ تُنَاقِضْ هَذِهِ الصِّفَاتِ
الوَاجِبَةَ. أَمَّا فَضْلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِكُونِهِ النَّبِيِّ الخَاتِمِ؛ إِذْ
تَسْتَلْزِمُ خَاتَمِيَّتُهُ كَمَالَ رِسَالَتِهِ لِكُلِّ النَّاسِ وَكُلِّ زَمَانٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

والملائكة عباد الله تعالى والعاملون بأمره ولا يصفون بذكورة ولا أنوثة

عن جين الأسنبل لآل:

النقل: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾
{النساء ١٣٦}، ذكر الله كل أركان الإيمان ومنها إيمان بالملائكة وهو
فرض، مثل سائر الأركان المذكورة، وكما ذكرنا سابقًا الإيمان بالقدر الذي
ورد في القرآن، كذلك أحد من أركان الإيمان لأنه متعلق بالإيمان بالله و
أفعاله، وشرح ذلك في حديث متواتر و هو حديث جبريل عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه: "قال: أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال:
صدقت" {صحيح مسلم ٨}. وقال الله: ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾
{الأنبياء ٢٧}، يعتمد المؤلف على هذه الآية، وهذا موقف أساسي في
معرفة حقيقة الملائكة؛ فليس عندهم استطاعة على المعصية أصلاً، بل هم
مُخَلَّقُونَ لطاعة الله فقط، ولا يستطيعون فعل المعصية بحال من الأحوال،

كما قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {التحریم ٦}، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَانًا لِّتَقُولُنَّ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ {الإسراء ٤٠}، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَوَّكْتَنُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ {الزخرف ١٩}، أنكر الله على من ادعى أن الملائكة إناث، ليس بالقول بأنهم ذكور، بل بالقول بأنهم عبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَتَّصِفُونَ بِصِفَةِ الْأُنثَى ولا الذكْرِ من بني آدَمَ. ولهذا فمن وصفهم بالأنوثة فقد كفرَ لأنَّه أطلق عليهم ما ليس من صفاتهم وكذب القرآن، وأمَّا من وصفهم بالذكورة من حيث الصَّيغَةُ اللَّغَوِيَّةُ فقد أخطأ وقال ما ليس له به علم، لأنَّ القرآن سمَّاهم عِبَادًا ورُسُلًا ولم يُؤكِّد على ذُكُورِيَّتِهِمْ بمعنى الجنس.

العقل: كما ذكرنا سابقًا، كلُّ ما لم يتعلَّق بقوانين الوجود الجوهرية - وهي من الجائزات - فهو في أصله متعلِّقٌ بأمر الله واختياره، فما اختاره الله للتخليق ووجد، وما لم يختره لم يوجد. فإن كان وجودُ شيءٍ جائزًا، فلا سبيلَ لمعرفة وجوده في الماضي أو المستقبل إلا بإخبارِ الله - الذي يُعَلِّمُ بما اختاره للتخليق عبر الوحي المنزل على رُسُلِهِ عليهم السلام. ولذلك السَّمْعِيَّاتُ تعتمدُ على خبر الرسول ولا على العقل.

ولله تعالى كتب أنزلها على أنبيائه بين فيها أمره ونهيها

ووعده ووعيده

جيمين الاستدلال:

النقل: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ {النساء
١٣٦}، ثم ذكر الله بعض الكتب: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ {١٩٦
الأعلى}، و منها: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ {٤٨
آل عمران}، و منها: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ {١٦٣ النساء}، و منها:
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ {١٨٥ البقرة}. أما
الوعد: ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ {١١١ التوبة}،
و الوعيد: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾ {ق ٤٥}.

العقل: كما ذكرنا سابقاً: السمعيات تعتمد في استدلالها على ثبوت
بعث الرسول وعلى وجوب وجود الله عقلياً. والمستفاد أنه إذا بعث الله
رسولاً، وجب أن يكون له كتابٌ يحتوي ما أوحى الله إليه، وهو رسالة الله
إلى الناس.

والمعراج لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في اليقظة بشخصه إلى السماء ثم إلى ما شاء الله تعالى من العلي حق

عن جين الإسنيذ لآل:

النقل: قال الله تعالى في الإسراء: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ {الإسراء ١}، والعبء هو عبارة عن الجسد والروح معًا، فلا يُطلق اسمُ العبد على الجسد مُنفردًا، ولا على الروح مُنفردًا. والعبادة لا تبتغى إلا بهما جميعًا؛ فتُدركُ الروح وتُحصَلُ النفس، وتنفقُ له وتقوم به الجوارح. قال الله تعالى في المعراج إلى السماء: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ {١٣} عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ {١٤} عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ {١٥} إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ {١٦} مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ {١٧} لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ {النجم ١٣-١٨}، وكان في اليقظة وبشخصه لا بروحه فقط بل بجسده أيضًا على ما بيّنا من قبل.

وكرامات الأولياء حق فظهر الكرامة على طريق نقض
 العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة وظهور
 الطعام والشراب واللباس عند الحاجة والمشي على الماء وفي
 أهواء وكلام الجهاد والعجماء واندفاع متواجه البلاء وكفاية
 المحمم من الأعداء وغير ذلك من الأشياء ويكون ذلك
 معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته
 لأنه يظهر بها أنه ولي ولن يكون ولياً إلا وأن يكون مُحَقَّقاً في
 ديانته وديانتها إقرار برسالة رسوله

جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ لَا يَكْفُرُ:

النقل: قال الله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 { ٦٢ } الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ { يونس ٦٢-٦٣ }، أثبت الله وجود
 الأولياء، قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ
 قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي
 لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي
 غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ { النمل ٤٠ }، ذكر الله تعالى أن أحداً من أصحاب سليمان

قَدَّرَ عَلَى إِيثَانِ بَعْرِشِ مَلِكَةٍ سَبِيًّا مِنْ مَمْلَكَتِهَا فِي الْيَمَنِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ،
 وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَظْهَرَهَا اللَّهُ عَلَى يَدَيْ هَذَا الْعَبْدِ
 الصَّالِحِ، وَهِيَ تَسْمَى كِرَامَةً. وَقَدْ حَدَّثَ هَذَا فِي مُدَّةِ قَصِيْرَةٍ، كَلَمَحِ
 الْبَصْرِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ أَيْضًا: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
 وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا
 مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
 حِسَابٍ﴾ {آل عمران ٣٧}، وَاضِحٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ رَزَقَهَا بِفَاكِهَةٍ
 شَتْوِيَّةٍ فِي الصَّيْفِ وَبِالْعَكْسِ، كَمَا رُوِيَ فِي الْأَخْبَارِ. وَأَوَّخِرُ كَلِمَاتِ الْمُؤَلِّفِ
 تَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْكِرَامَةَ لِلْوَالِيِّ لَا تَظْهَرُ إِلَّا بِسَبَبِ اتِّبَاعِهِ لِلرَّسُولِ الْحَقِيقِيِّ فِي
 صِحَّةِ الْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ بِهِ. وَالْكَرَامَةُ تَنْتَبِطُ صِحَّةَ بَعَثِ الرَّسُولِ الْمُتَّبَعِ،
 كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ سُورَةِ النَّمْلِ الَّتِي أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ:
 "الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ"، وَمَعَ هَذَا الْعِلْمِ كَانَ تَابِعًا لِسُلَيْمَانَ، الَّذِي
 بَعَثْتُهُ كَانَتْ صَحِيحَةً، يَعْنِي كَانَ رَسُولًا حَقِيقِيًّا. هَذَا الشَّرْطَانِ الْمَذْكُورَانِ
 لِلْوَالِيِّ يَدُلُّانِ عَلَى وَجُوبِ كَوْنِ الْوَالِيِّ عَلَى صِحَّةِ الْإِعْتِقَادِ وَتَابِعًا لِلرَّسُولِ اللَّهِ
 الْحَقِيقِيِّ.

وأفضل البشر بعد الأنبياء أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق
ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم
وخلافتهم ثابتة على هذا الترتيب أيضًا والخلافة ثلاثون سنة
ثم بعدها ملك وإمارة

عن أبيه الإسناد لإبن:

النقل: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ، قَالَ: مُرُوهُ فَيُصَلِّيَ فَعَاوَدْتُهُ، قَالَ: مُرُوهُ فَيُصَلِّيَ، إِنَّكَ صَوَّاحِبُ يُوسُفَ { صحيح البخاري ٦٨٢، صحيح مسلم ٤١٨ } فَإِذْنِ، الصَّلَاةُ هِيَ أَهْمُ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فإِمَامَةُ أَبِي بَكْرٍ تَكُونُ مَقْدَمَةً لِإِمَامَةِ سَائِرِ الْأَصْحَابِ، بِمَا أَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ وَفَاتِهِ. وَكَلَامُ الْمُؤَلَّفِ فِي فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ مُحْتَمِلٌ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى هَذِهِ الرَّوَايَةِ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْشَى أَمَامَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: أَمْشِي أَمَامَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ

وَالْمُرْسَلِينَ خَيْرٌ، أَوْ قَالَ: أَفْضَلُ، مِنْ أَبِي بَكْرٍ {أحمد في فضائل الصحابة، ٦٣٥}. و دليل آخر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعُدّ رجالاً {صحيح البخاري ٣٦٦٢، صحيح مسلم ٢٣٨٤}، ثم نستدل بدليل آخر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكرٍ وعمرَ {سنن الترمذي، ٣٦٦٢ حديث حسن} و في رواية أخرى: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إني لا أدري ما قدُرُ بقائي فيكم فافتدوا باللذين من بعدي وأشارَ إلى أبي بكرٍ وعمرَ واهتدوا بهدي عمارٍ وما حدّثكم ابنُ مسعودٍ فصَدِّقُوهُ {صحيح الترمذي، ٣٧٩٩}. أو نضرب مثلاً آخر، عن أبي جحيفة: أنّ عليّاً رضي الله عنه صعد المنبر، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَالثَّانِي عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ يَجْعَلُ اللهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ {أحمد في مسنده ٨٣٩} ، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده قوي". والخلاصة: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كُنَّا نُحِبُّ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّم فَنُحَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. { صحيح البخاري ٣٦٥٥ }، وفيه نقل إجماع الصحابة بقوله: «كُنَّا نُحَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ»، يعني أنَّ جميع الصحابة كانوا يُحَيِّرُونَ هؤلاء الخلفاء الراشدين على الترتيب المذكور. وهذه أقوى الحجج لأهم إجماع الصحابة. فأي دليل تُطَرِّقُ يُمكن أن يقوى على هذا الإجماع؟ وهكذا الروايات التالية: عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ" { صحيح البخاري ٣٦٩٧ }، وكذلك: "كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيٌّ: "أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ" { ابو داود ٤٦٢٨ }، وأيضاً: "كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، فَيَبْلُغُ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يُنْكِرُهُ" { أحمد في الفضائل ٨٥٧ }، هذا كله مع إجماع الصحابة ورضاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، يدل أيضاً على خلافة عثمان بن عفان بعد خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. ثم نستدل على خلافة علي رضي الله عنه: عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه

وسلم: خِلافةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤَيِّبُ اللَّهُ الْمَلِكَ أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ،
 قَالَ سَعِيدٌ: قَالَ لِي سَفِينَةٌ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ: أَبُو بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَعَمْرٌ عَشْرًا،
 وَعَثْمَانُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَعَلِيٌّ كَذَا، قَالَ سَعِيدٌ: قُلْتُ لِسَفِينَةٍ: إِنَّ هَؤُلَاءِ
 يَزْعَمُونَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ، قَالَ: كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ - يَعْنِي:
 بَنِي مَرْوَانَ {صَحِيحُ أَبِي دَاوُدَ ٤٦٤٦}، وَكَذَا عَنْهُ رَوِيَةٌ أُخْرَى: "الْخِلافةُ
 فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مَلِكًا بَعْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةٌ: أَمْسِكْ خِلافةَ
 أَبِي بَكْرٍ، وَخِلافةَ عَمْرٍ، وَخِلافةَ عَثْمَانَ، وَأَمْسِكْ خِلافةَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
 تَعَالَى عَنْهُمْ، قَالَ: فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً. ثُمَّ نَظَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْخِلافةِ
 فَلَمْ أَجِدْهُ يَتَّفِقُ لَهُمْ ثَلَاثُونَ. فَقُلْتُ لِسَعِيدٍ: أَيْنَ لَقِيتَ سَفِينَةً؟ قَالَ: لَقِيتُهَا
 بِبَطْنِ نَخْلَةٍ فِي زَمَنِ الْحِجَّاجِ، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ ثَمَانِ لَيَالٍ أَسْأَلُهُ عَنْ أَحَادِيثِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: مَا
 أَنَا بِمَخْبِرِكَ. سَمَّيْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سَفِينَةَ قُلْتُ:
 وَلِمَ سَمَّيْتَهُ سَفِينَةً؟ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ
 وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فَتَقَلَّ عَلَيْهِمْ مَتَاعُهُمْ فَقَالَ لِي: ابْسِطْ كِسَاءَكَ فَبَسَطْتُهُ.
 فَجَعَلُوا فِيهِ مَتَاعَهُمْ ثُمَّ حَمَلُوهُ عَلَيَّ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
 آلِهِ وَسَلَّمَ: احمِلْ فَإِنَّمَا أَنْتَ سَفِينَةٌ فَلَوْ حَمَلْتُ يَوْمَئِذٍ وَقَرَّ بَعِيرٌ أَوْ بَعِيرَيْنِ أَوْ
 ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةٍ أَوْ سَبْعَةٍ مَا ثَقَلْ عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يَجْفَوْا".

{الصحيح المسند للوادعي ٤٤٠}. واستدل أبو حنيفة، رضي الله عنه، في "الوصية" على هذا الترتيب بالآيات: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ {١٠} وأولئك الْمُقَرَّبُونَ {١١} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿الواقعة ١٠-١٢﴾، وفيها قاعدة عامة ومتعلّقة للخلافة ولتفضيل السلف على الخلف. وبالنسبة حدود الخلافة روى أبو داود بإسناده إلى سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خِلاَفَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ، أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ. {رواه أبو داود ٤٦٤٦، والطبراني ٦٤٥٩}، وعند الترمذي: [...]. الخِلاَفَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ [...]. {الترمذي ٢٢٢٦، وأحمد ٢١٩٧٨، والنسائي في السنن الكبرى ٨١٥٥. قال الترمذي، وابن حجر في موافقة الخبر الخبر ج ١ ص ١٤١: "حسن".} هذه الروايات تدلُّ على أنَّ الخِلاَفَةَ انتهت بعد عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَسُمِّيَ الملوك والأمراء والأئمَّة بعده بكلمة "الخليفة" على سبيل المجاز، لأنَّ اسمَ "الخليفة" يُطْلَقُ حَقِيقَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ فَقَطْ، رضي الله عنهم.

والمسلمون لا بد لهم من إمامهم يقوم بتنفيذ أحكامهم
 وإقامة حدودهم وسد ثغورهم وتجهيز جيوشهم وأخذ
 صدقاتهم وقهر المتغلبة والمتصصة وقطاع الطريق وإقامة
 الجمع والأعياد وقطع المنازعات الواقعة بين العباد وقبول
 الشهادات القائمة على الحقوق وتزويج الصغار والصغار
 الذين لا أولياء لهم وقسمة الغنائم. ثم ينبغي أن يكون
 الإمام ظاهرًا ولا مخفيًا منظرًا ويكون من قریش ولا يجوز من
 غيرهم ولا يختص ببني هاشم وأولاد علي رضي الله عنهم ولا
 يشترط أن يكون معصومًا ولا أن يكون أفضل من أهل
 زمانه ويشترط أن يكون من أهل الولاية ساسًا قادرًا على
 تنفيذ الأحكام وحفظ حدود دار الإسلام وإنصاف المظلوم من
 الظالم ولا ينزل الإمام بالفسق

وجبة الاستئذان بال:

النقل: قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ {النساء ٥٩}، أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْاِقْتِدَاءَ بِإِمَامِ الْمُسْلِمِينَ، أَي: بِخَلِيفَتِهِمْ، بِأَمْرِهِ وَسُنَّةِ خَلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ. ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلَّفَ أَنْوَاعَ الْأُمُورِ تَحْتَ حُكْمِ الْإِمَامِ. ثُمَّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ ظَاهِرًا غَيْرَ مُخْتَفٍ وَلَا مُنْتَظَرٍ، كَمَا كَانَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ثُمَّ الْخِلَافَةُ لِقُرَيْشٍ: عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُورَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً. ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً حَفِيَّةً لَمْ أَفْهَمْهَا، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: مَا قَالَ؟ قَالَ: كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ {أحمد ٢٠٢٠، حديث صحيح}. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ وَنَحْنُ فِيهِ فَقَالَ الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ إِنَّهُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقًّا مِثْلَ ذَلِكَ مَا إِنْ اسْتُرْجِمُوا رَحِمُوا وَإِنْ عَاهَدُوا وَقُوا وَإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. {أحمد ١٢٣٢٩، النسائي في السنن الكبرى ٥٩٤٢، الطبراني ٧٢٥، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ج ٥ ص ١٩٥: رجال أحمد ثقات، وصححه العراقي في "محنة القرب" ص ١٨٩}. فَإِنْ كَانَتِ الْخِلَافَةُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثَابِتَةً، فَيَكُونُ ثَابِتًا عَدَمُ شَرْطِ كَوْنِ الْإِمَامِ هَاشِمِيًّا أَوْ عَلَوِيًّا؛ لِأَنَّ

الخلفاء الراشدين لم يكونوا من بني هاشم ولا من أولاد علي رضي الله عنه، وإنما كانوا من قريش. أما شرط العصمة فهو غلط؛ لأنّ الخلفاء الأربعة لم يكونوا معصومين، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ {البقرة ٢٨٦}، فشرط العصمة لغير النبي يؤدي إلى تكليف ما لا يطاق وهو مخالف للنقل و فاسد عقلاً بما ذكرنا سابقاً. وشروط الإمامة: أن يكون الإمام مسلماً، حرّاً، ذكراً، عاقلاً، بالغاً؛ لأنّ الخلفاء الأربعة كلّهم كانوا على هذه الشروط، ولذلك كانوا قادرين على السياسة والحكم، إلى آخر ما ذكر المؤلف، رحمه الله. ولا ينزع الإمام بالفسق، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ {النساء: ١٤١}، ولا سبيل أعظم من سبيل الإمامة على المؤمنين، فلا ينزع الإمام إلا بالردة. وعلى هذا رواية عن عبادة بن الصامت، رضي الله عنه، أنّه قال: أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرنا علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عنكم من الله فيه برهان. {صحيح البخاري ٧٠٥٥، صحيح مسلم ١٨٤٠}.

وتجاوز الصلاة خلف كل بر وفاجر ويصلي على كل بر وفاجر

عن جَمْعِ الْإِسْنَيْنِ لِأَبِي:

النقل: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ: أَنْ لَا يُخَالِفَ ابْنَ عُمَرَ فِي الْحَجِّ، فَجَاءَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَصَاحَ عِنْدَ سُرَادِقِ الْحَجَّاجِ، فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ مِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرَةٌ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: الرَّوَّاحُ إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ السُّنَّةَ، قَالَ: هَذِهِ السَّاعَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْظِرْنِي حَتَّى أُفِيضَ عَلَى رَأْسِي ثُمَّ أُخْرَجُ، فَنَزَلَ حَتَّى خَرَجَ الْحَجَّاجُ فَسَارَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي فَقُلْتُ: إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ السُّنَّةَ فَأَقْصِرِ الخُطْبَةَ وَعَجِّلِ الوُقُوفَ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: صَدَقَ {صحيح البخاري ١٦٦٠}، وكذا عن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ عُمَرَ جَاءَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِنِ يَوْسُفَ يَوْمَ عَرَفَةَ حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ وَأَنَا مَعَهُ فَقَالَ الرَّوَّاحُ إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ السُّنَّةَ. فَقَالَ هَذِهِ السَّاعَةُ قَالَ نَعَمْ. قَالَ سَالِمٌ فَقُلْتُ لِلْحَجَّاجِ إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ أَنْ تَصِيبَ الْيَوْمَ السُّنَّةَ فَأَقْصِرِ الخُطْبَةَ وَعَجِّلِ الصَّلَاةَ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بِنِ عُمَرَ: صَدَقَ. {صحيح النسائي ٣٠٠٩}. و ظهر فيه أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صَلَّى خَلْفَ الْحَجَّاجِ وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ كَانَ فَاسِقًا وَفَاجِرًا. وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أَمْرًا يُؤَخَّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يُمَيِّتُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي. قَالَ: صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكَتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ {صحيح مسلم ٦٤٨}. وفيه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بجواز الصلاة خلف مَنْ يخالف السنة. وروى عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ {البيهقي ٦٦٢٣، والدارقطني ٧}. والمراد منه أَنَّ هَذَا خِلَافٌ لِقَوْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، حَيْثُ كَفَرُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ. وَأَهْلَ السَّنَةِ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْكِبَائِرِ. وَفِي تَرْكِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الْفَاجِرِ إِشَارَةٌ إِلَى تَكْفِيرِ مُسْتَتِرٍ. وَالْحُكْمُ نَفْسُهُ عَلَى صَلَاةِ الْجِنَازَةِ. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ خَلْفَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَإِنْ عَمِلَ الْكِبَائِرُ، وَالصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا وَإِنْ عَمِلَ الْكِبَائِرُ {السنن الكبير للبيهقي ٤٩٣٤}.

ويكف عن ذكر الصحابة إلا بخير ونشهد بالجنة للعشرة الذين
بشرهم النبي عليه السلام بالجنة

النقل: قال الله تعالى: ﴿مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ {الفتح ٢٩}، ومدح الله في الآية جميع الصحابة بلا تفریق، فلو كان فيهم منافقون لما مدحهم الله، فمن يُخَالِفُ هذا فهو يَنْسِبُ الكَذِبَ إلى الله. وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَبْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ {الحشر ٨}. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ. {صحيح البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤١}. وفي رواية عنه: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ، فَسَبَّهُ خَالِدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ. {صحيح مسلم ٢٥٤١}.

ثم العشرة المبشرة: عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ. {الترمذي ٣٧٤٧، النسائي ٨١٩٣، ٨١٩٤، أحمد في مسنده ١٦٧٥ وإسناده صحيح، السيوطي في الجامع الصغير ٧٣ و قال عنه: صحيح}، وتبلغ طرق حديث العشرة المبشرين إلى أكثر من ثلاث عشرة طريقاً.

وَيُرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخَفَيْنِ فِي الْحَضْرِ وَالسَّفَرِ وَلَا نَحْرَمُ نَبِيذَ الْجُرْ

جِيذِ الْإِسْنَدِ لِأَنَّ:

النقل: روي: بال جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَيْهِ فَقِيلَ لَهُ: أَنْفَعَلْ هَذَا؟ فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَكَانَ يُعْجِبُهُمْ حَدِيثُ جَرِيرٍ لِأَنَّ إِسْلَامَهُ كَانَ بَعْدَ نَزُولِ الْمَائِدَةِ {صحيح ابن حبان ١٣٣٧، حديث صحيح}، هذا دليل على أَنَّ أَمْرَ بِمَسْحِ الْخَفَيْنِ جَاءَ بَعْدَ نَزُولِ آيَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ {المائدة ٦}، وفيه إثبات جواز مسح

الحَفِينِ؛ لأنه لو كان قبل نُزُولِ هذه الآية لكان منسوخًا. وتَبَلُّغُ أحاديثِ مسحِ الحَفِينِ درجةَ التواترِ، كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه: "نُقِرَّ بأنَّ المسحَ على الحَفِينِ واجبٌ للمُقيمِ يومًا وليلاً وللمُسافرِ ثلاثةَ أيامٍ وليالها لأنَّ الحديثَ وردَ هكذا فَمَنْ أنكرَهُ فإنه يُخشى عليه الكفرُ لأنه قريبٌ من الخبرِ المتواترِ" ^(١٨)، وقال الكرخي: "من أنكر المسحَ على الحَفِينِ يخشى عليه الكفر" ^(١٩). أما المسحُ على الجُورَيْنِ أو التَّعْلَيْنِ، فالأحاديثُ فيه لا تَبَلُّغُ درجةَ التواترِ، ولذلك لا تكونُ مساويةً للآيةِ من سورةِ المائدةِ في أمرِ غَسْلِ الرَّجْلَيْنِ، أو لأحاديثِ المسحِ على الحَفِينِ. ومعلومٌ أنه يُشترطُ في الآيةِ غَسْلُ الرَّجْلَيْنِ، فيمكنُ الاستنادُ إلى المسحِ اعتمادًا على الخبرِ المتواترِ المساوي للآيةِ في الصحةِ. فمن لم يتوضَّأ على الأمرِ القرآنيِّ، أو لم يمسحَ على الحَفِينِ اعتمادًا على الخبرِ المتواترِ المساوي للآيةِ في الصحةِ، فَيُخشى أن يكونَ قد تركَ فرضًا، وطهارتهُ غيرُ صحيحةٍ.

أما نبيذُ التمرِ، فهذه مَيِّزَةٌ لأهلِ السنةِ تُمَيِّزُهُم عن الروافضِ المُحَرِّمِينَ لنبيذِ التمرِ. ويجبُ أن لا يكونَ مُسَكَّرًا بالانفِاقِ، ونستدلُّ بعدهُ أحاديثُ: عن عبد الله بن مغفل قال: "أنا شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

^(١٨) كتاب الوصية

^(١٩) البناية شرح الهداية ج ١ ص ١٣

حِينَ نَهَى عَنْ نَبِيدِ الْجُرِّ، وَأَنَا شَهِدْتُهُ حِينَ رَحَّصَ فِيهِ، وَقَالَ: "اجْتَنِبُوا
المُسْكِرَ". رواه أحمد ورجاله ثقات، وفي أبي جعفر الرازي كلام لا يضر
وهو ثقة، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط.
وعن يحيى بن غسان عن أبيه قال: "كَانَ أَبِي فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، فَنَهَاهُمْ عَنْ هَذِهِ
الْأَوْعِيَةِ، قَالَ: فَانْجَمْنَا. ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ
هَيَّئْنَا عَنْ هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ فَانْجَمْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"ابْتَدُوا فِيمَا بَدَا لَكُمْ، وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا، مَنْ شَاءَ أَوْكَأَ سِقَاءَهُ عَلَى إِيْمٍ".
رواه أحمد. وعن صحار العبدي قال: "اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنْ يَأْذَنَ لِي فِي جَرَّةٍ أَنْتَبُدُ فِيهَا، فَرَحَّصَ لِي فِيهَا أَوْ أَدَنَ لِي فِيهَا".
رواه أحمد والبخاري والطبراني وفيه عبد الرحمن بن صحار ذكره ابن أبي حاتم
ولم يوثقه ولم يجرحه. والضحاك بن يسار وثقه أبو حاتم وابن حبان وقال
ابن معين: يضاعفه البصريون، وبقية رجاله ثقات.
وعن أبي مالك الأشجعي قال: "كَانَ يُنْبَذُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي ثُورٍ (إِنَاءٍ) مِنْ حَجَرَةٍ". رواه الطبراني ورجاله ثقات.
وعن عيسى بن عبد الرحمن السلمي قال: "سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنِ النَّبِيدِ
فَقَالَ: لَا تَشْرَبْ إِلَّا فِي شَيْءٍ مُوَكَّأً. فَقَالَ ابْنُهُ: أَلَيْسَ قَدْ بَلَعْنَا كَانَ ابْنُ

مَسْعُودٍ يَشْرَبُ عِنْدَكُمْ فِي الْجَبْرِ الْأَخْضَرِ؟ قَالَ: بَلَى. رواه الطبراني ورجاله ثقات". (٢٠)

ولا يبلغ ولي درجة الأنبياء

في حجة الإسنيك لابن:

النقل: كما أوردنا حديثاً: "مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ حَيْرٌ، أَوْ قَالَ: أَفْضَلُ، مِنْ أَبِي بَكْرٍ" {أحمد في فضائل الصحابة، ٦٣٥}، واضح أنه ليس هناك أحد بعد الأنبياء والرسول أفضل من أبي بكر، رضي الله عنه. فكل إنسان، سواء أكان ولياً أم آتماً، فإنه دون منزلة الانبياء والرسول.

ولا يصل العبد إلى حيث يسقط عنه الأمر والنهي

في حجة الإسنيك لابن:

النقل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ،

(٢٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أحاديث رقم: ٨١٤٠، ٨١٤٤، ٨١٤٧،

وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَقِّعٍ {صحيح مسلم ٤٢٢٣}، فإنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم سيّدُ بني آدمَ وأفضلُهُم، ومع ذلك لم يترك شيئًا من الفرائض والواجبات والشُّننِ والنوافلِ حتى تُؤفَّقَ. وثبت بذلك عَدَمُ إسقاطِ الأمرِ والنهي في أيِّ درجةٍ كانت.

والنصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معانٍ يدعيها أهل الباطن إلحاد وكفر، ورد النصوص كفر، واستحلال المعصية كفر، والإستهانة بها كفر، والإستهزاء بالشريعة كفر
وجيء الإسنين بال:

النقل: وكما بيّنا سابقًا في مِيزَةِ الآياتِ المتشابهاتِ، فيبقى دونهنَّ الآياتُ المحكّمة، وكل منها بينات، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ {الحج: ١٦}، ولن يكون القرآنُ بيّنًا إذا كانت معانيه مُستورةً في معنَى باطنٍ، ومن زعمَ بالعكسِ فهو ينكُرُ نصَّ الآيةِ المذكورة. رد النصوص واستحلال المعصية كفر بناءً على الآية: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ {المائدة ٤٤}، أما الإستهانة والاستهزاء فهما على الآية: ﴿قُلْ أِبَالَهُمْ وَعَاقِبَتُهُمْ وَسُؤْلُهُمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ {٦٥} لا

تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ ﴿ التوبة ٦٥-٦٦ ﴾، ويجب أن نعلم أن العمل لا يُعدُّ جزءاً من الإيمان. فهذه الأعمال كالاستهزاء أو السجود لِصَنَمٍ ونحوها، إنما هي عَلامَاتٌ على عَدَمِ الإيمانِ في القلبِ، تُدَلُّ على أنّ فاعِلَهَا قد كَفَرَ في قلبه. فإنْ فَعَلَهَا بدونِ كُفْرٍ فقد عَصَى ولم يخرج من الإيمانِ. وبالعكس: لا يَصِيرُ الكافرُ بقلبه مؤمناً بفعلِ الصلاةِ أو بالنطقِ بالشهادتينِ فقط، بل يَصِيرُ مُنَافِقاً.

واليرأس من الله كفر والأمن من الله كفر

بِحُجَّةِ الْإِسْنِدِ لِلْإِسْنِدِ:

النقل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ {يوسف ٨٧}، وقال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ {الأعراف ٩٩}.

وتصدق الكاهن بما يخبر عن الغيب كفر

بِحُجَّةِ الْإِسْنِدِ لِلْإِسْنِدِ:

النقل: قال الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا {٢٦} إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

رَصَدًا ﴿﴾ {الجن ٢٦-٢٧}، الكاهن والعَرَّاف ليسا من الرسل، ولذلك
 لن يظهر الله علم الغيب للكاهن ولا للعَرَّاف، والتصديق بما يقولون هو
 إنكار نص الآية المذكورة. وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه، أنّ
 رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ليس مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أو تُطَيِّرَ له أو
 تَكَهَّنَ أو تُكَهَّنَ له أو سَحَرَ أو سُحِرَ له وَمَنْ عقدَ عقدةً أو قال عقدَ
 عقدةً وَمَنْ أتى كاهنًا فصدَّقَهُ بما قال فَقَدَ كَفَرَ بما أُنزلَ على محمدٍ صَلَّى
 اللهُ عليه وسلَّم {البيزار ٣٥٧٨، مجمع الزوائد و رجاله ثقات}.

والمعدوم ليس بشيء

جيمين الإسلام للإيمان:

النقل مع العقل: فيه رد للمعتزلة حيث زعموا بأن المعدوم الممكن
 ثابت في الخارج، بل الشئئية ترادف الوجود و الثبوت، والعدم يرادف
 النفي. وهذا كما قال الله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ {يس ٨٢}، حرف
 "ف" علامة التبعية لأنها جواب الشرط، وفيه إشارة إلى أنّ كلّ شيء قبل
 إحداثه غير مكوّن، أي — ليس بشيء.

وفي دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم عنهم نفع لهم
والله تعالى يجيب الدعوات ويقضي الحاجات

عن جين الأسنبل لآل:

النقل: قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ {الحشر ١٠}، في هذه الآية دعاء للأموات، ومدح الله لهم دليل على أنّ الدعاء لهم مستجاب، كما قال الله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ {غافر ٦٠}. أما الصدقات: فعن عائشة رضي الله عنها: أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا ، وَأَظْنَهَا لَوْ تَكَلَّمْتَ تَصَدَّقْتُ ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . {صحيح البخاري ١٣٨٨، صحيح مسلم ١٠٠٤}.

وما أخبر به النبي عليه السلام من أشراط الساعة من
خروج الدجال ودابة الأرض ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى عليه السلام من السماء وطلوع الشمس من مغربها
هو حق

وَجِيءَ الْإِسْنِدُ بِالْإِسْنِدِ:

النقل: عن علامات الساعة، في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثٌ إذا حَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ أَمَنَتْ مِنْ قَبْلِهِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالذَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ {صحيح مسلم ١٥٨}، و ذكر يأجوج و مأجوج في الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُفْلٍ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ {الأنبياء ٩٦}، و عن نزول عيسى عليه السلام: عن كيسان بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء بشارقي دمشق {أبو داود ٤٣٢١، الإستيعاب ج ٣ ص ٣٨٧، إسناده صالح}. ثم يجب أن يُعْلَمَ أنّ هذه العلامات ثابتة بكثرة الروايات التي تَبْلُغُ درجة التواتر. وقد ذكر بعض علمائنا أنّ الأخبارَ عن مجيء المهديِّ بلغتْ أيضاً عدداً كبيراً مُسْتَفِيضاً.

والمجتهد قد يصب وقد مخطي

وَجِيءَ الْإِسْنِدُ بِالْإِسْنِدِ:

النقل: قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ {الأنبياء ٧٩}، لو كان كل اجتهاد في العقليات أو الشرعيات أو الأصوليات أو الفرعيات مصيب، لما ذكر الله هذا تخصيص في فهم سليمان. و دليل آخر: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا حَكَمَ الحاكمُ فاجتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وإذا حَكَمَ فاجتَهَدَ ثُمَّ أخطأَ فَلَهُ أَجْرٌ {صحيح البخاري ٧٣٥٢}.

ورسل البشر أفضل من رسل الملائكة ورسول الملائكة أفضل من عامة البشر وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النقل: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ {آل عمران ٣٣}، يظهر أنّ لفظ "العالمين" يشمل جميع المخلوقات، فمنهم مثل الملائكة والجنّ وسائر المخلوقات، ولهذا فإنّ بني آدم أعلى منزلةً وفضلاً عليهم. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكَافِرِينَ ﴿البقرة ٣٤﴾، وأمر الله للملائكة أن يسجدوا لآدم تفضيلاً له. ثم يجب أن يُعلم أنّ الله خلق ثلاثة أنواع من المخلوقات العاقلة، وهي: الملائكة والجن والإنس. فالملائكة ليس عندهم استطاعة المعصية، كما قال سبحانه: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {التحریم: ٦}. ثم خلق الله الجنّ وعندهم اختيار الخير والشرّ والإيمان والكفر، كما قال الله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ {الجن: ١١}، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ {الجن: ١٤}. ولكن الجنّ أرواحٌ بدون أجسادٍ مادّيّة، ولهذا فاختيارهم لا يتأثر بالمملدات والآلام الجسدیّة، خلافاً للإنس، فإنه يملك الاختيار مع جسده المادّي وملداته وآلامه، ولا يسهلُ اختياره لعدم تجرّده عنها. وفيه فائدة: أنّ الاختيار المرتبط بالمملدّة والآلم موجودٌ عند الإنسان فقط، ولهذا سؤال: "لماذا خلق الله للعبد فعلاً سيئاً؟" سؤالٌ غير صحيح؛ لأنه لو لم يخلق الله للعبد فعلاً سيئاً لكان العبد مجبوراً في اختياره كالملائكة الذين عندهم أفعال الطاعات فقط، أو لو لم تكن أفعال العباد مرتبطة بالمملدّة والآلم لكان اختيارهم في السميدان الذهنيّ فقط كما هو حال الجنّ. ومحمّلٌ أنّ يكون فضل البشر وامتيازهم في هذا، والله أعلم، والحمد لله الهاديّ العفّار.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.
أتمته في يوم الاثنين ٢ ربيع الأول من سنة ١٤٤٧ هـ بعد صلاة الظهر.
أبو صفية مَقْصَدٌ أُوَيْزُوفُ المَرْوَزِي الماتريدي الحنفي.

فهرست الكتاب

١.....	مقدّمة الشارح
٩.....	صور المخطوط.....
١٤.....	متن الكتاب.....
٢٧.....	مبحث الحقيقة.....
٣٠.....	أسباب العلم.....
٤٠.....	العالم محدثٌ.....
٤٣.....	المحدث للعالم.....
٥٢.....	مبحث الصفات.....
٥٩.....	رؤية الله.....
٦١.....	خلق الأفعال.....
٦٧.....	إبطال التوليد.....
٦٩.....	أحوال الآخرة.....
٧٣.....	الإيمان وما يتعلق به.....
٧٩.....	إرسال الرسل.....
٨٨.....	كرمات الأولياء.....
٩٥.....	الإمامة.....
١٠١.....	المسائل الفرعية.....